روايات مصرية للجيب

الكتاب الرابع عشر

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

نداء الأعماق

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

د. نبيل فاروق

- مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيـــل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـــارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليـوم

د. نبيل فاروق

الوسيم

(قصة قصيرة)

، صباح الخير يا سيادة المديرة .. ،

نطق (عماد) العبارة فى خفوت ، وبأقصى عذوبة أمكنه استخدامها ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة جذّابة ، من تلك الابتسامات ، التى اعتاد التدرّب على أدائها أمام المرآة ، لم تلبث أن اكتست بشىء من الثقة ، عندما التفتت المديرة إليه ، وخلعت منظارها الطبى ، وهى تتأمّله فى اهتمام ..

كان يعلم أنه وسيم ، جميل المظهر ، يشبه كثيرًا ذلك الممثل الشاب ،

الذى لم يحمل من مؤهلات ، فى عالم السينما ، سوى وسامته الشديدة ، التى فتحت له أبواب التقدّم والنجاح ..

ويعلم أن المديرة ما تزال فتاة (عانس) ، لم تفز بالزواج بعد ، على الرغم من سنوات عمرها ، التى تجاوزت الأربعين ببضع سنوات ، ولم تحظ أبدًا بما يمكن القول إنه شىء من الجمال ..

كانت دميمة بالفعل ، ذات وجه أطول مما ينبغى ، وعينين أضيق مما يمكن ، حتى لتحار وأنت تتطلّع إليها ، فيما إذا كانت تُغلق عينيها أم تفتحهما ، أضف إلى هذا أنفها الضخم ، وشفتيها الغليظتين ..

إنها دميمة ، دون أدنى قدر من المبالغة ..

وكانت أوّل مرة يلتقى فيها (عماد) بها مباشرة ، على الرغم من أنه يعمل بالشركة منذ أسبوعين كاملين ، ولم يكن من المفترض أن يكون اللقاء لصالحه ، إذ أن المديرة هى التى طلبت رؤيته ، بعد أن غاب عن عمله يومين متتاليين ، دون إذن أو عذر ..

ولقد سمع الكثير عن صرامة المديرة وشدتها ، فى التعامل مع موظفيها ، وسمع أكثر عن أولئك الذين طلبت مقابلتهم ، لتمنحهم عقوبة أشدّ من الآخرين ، وأكثر قسوة ..

وعندما ذهب لمقابلة المديرة ، كان قد اتخذ قراره فى شأن أسلوب التعامل معها ..

لقد قرّر الإيقاع بها فى حبائله ، كما فعل بالكثيرات من قبل ..

سيستغلّ وسامته وملاحته ، لدفع قلبها إلى الخفقان ، وإشعال النيران فى عروقها ، حتى تنبعث أنوثتها مرة أخرى فى نفسها ، ويهوى قلبها بين يديه ، و ..

ويصبح أقوى رجل فى الشركة ..

كان يعلم أنها تكبره بأكثر من خمسة عشر عامًا ، ولكن هذا لم يكن يعنيه

كثيرًا ، فهو يتصوّر أن هذا الفارق يجعل موقفه أكثر قوة ، وموقفها أكثر ضعفًا ..

ويبدو أنه سينجح ..

ها هى ذى المديرة تتطلّع طويلًا إلى وسامته فى صمت ، ومن الواضح أن جماله قد بهرها ، حتى أنها لم تنطق بحرف واحد ، إلى أن قال هو :

ـ لقد طلبت رؤيتى .

قالها مستخدمًا نفس الصوت الناعم ، والابتسامة الجذّابة ، فاعتدلت المديرة ، وتنحنحت ، وكأنها تنفض عن نفسها ذلك الانبهار ، قبل أن تقول :

ـ أأنت (عماد حازم) ؟

أجابها وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة :

ـ إنه أنا .

رأى نظرة دهشة تطلّ من عينيها ، وهى تواجه نظراته المباشرة ، قبل أن تشيح بوجهها ، وتقول :

ـ لقد غبت يومين عن عملك يا أستاذ (عماد) ، دون سبب واضح .

همس فى نعومة :

ـ (عماد) .. لا داعى لكلمة أستاذ هذه .. يكفيك مخاطبتى باسمى مجرّدًا .. هذا يسعدنى أكثر .

مرة أخرى تطلّعت إليه فى دهشة ، وتخضّب وجهها بحمرة الخجل ، قبل أن تشيح بوجهها ثانية ، وتقول فى توتر :

ـ إنك لم تجب سؤالى بعد .

كان من الواضح أن أسلوبه قد ترك أثرًا واضحًا فى نفسها ..

لقد شعر بهذا ، بخبرته الطويلة فى التعامل معها ، مما زاد من ثقته بنفسه ، ودفعه إلى خطوة أكثر جرأة ، وهو يقول :

ـ غبت ؛ لأننى لم أعد أحتمل .

سألته فى دهشة :

ـ لم تعد تحتمل ماذا ؟

مال نحوها ، هامسًا :

ـ لم أعد أحتمل عواطفى الملتهبة .

رددت فى دهشة بالغة :

ـ عواطفك .

ثم هتفت مستنكرة :

ـ وما شأن عواطفك بالعمل ؟

مال نحوها أكثر ، ورسم فى عينيه نظرة عاطفية ، تفيض بالهوى والولع ، وهو يجيب :

ـ ألم تشعرى بى أبدًا يا سيادة المديرة ؟ .. ألم تلفت نظراتى إليك انتباهك ؟ . ألم تلاحظى أبدًا عواطفى نحوك ؟

لمح تلك الارتجافة ، التى سرت فى جسدها ، وهى تقول :

ـ ألاحظ ماذا ؟

ترك صوته يتهدّج ، وهو يقول :

ـ اعذرينى يا سيادة المديرة .. أعلم أنك تفوقيننى منصبًا ، وأننى واحد من آلاف محبيك ومعجبيك ، ولكن ماذنب قلبى ، الذى انتخبك من وسط كل نساء الأرض ، ليهبك نفسه ، ويذوب فى هواك ؟!

اضطربت أكثر وأكثر ، وأعادت منظارها إلى عينيها ، وهى تقول :

ـ أستاذ (عماد) .. إننى ..

قاطعها وهو يقترب منها ، ويهمس بصوت أكثر تهدّجًا :

ـ لا ترفضى مشاعرى .. أرجوك .. لا تقتلى قلبى المحبّ فى مهد عاطفته السامية .. افصلينى من الشركة ، لو اقتضى الأمر ، ولكن لا تجرحى مشاعرى .

رآها تزدرد لعابها فى توتر ، وهى تبتعد بنصفها العلوى عنه ، قائلة :

ـ أنت تعلم أننى لا أستطيع فصلك يا أستاذ (عماد) ، فالقانون لن ..

عاد يقاطعها :

ـ ارحمى قلبى إذن .. ربّاه !! ما الذى فعلته لأتعذّب أمام كل هذا الجمال ؟

كانت إشارته إلى جمالها أكبر كذبة نطق بها ، فى حياته كلها ، وعلم الرغم من هذا فقد رأى قشعريرة تسرى فى جسدها ، وهى ترفع أصابعها دون وعى ، لتتحسسّ أنفها الضخم ، وشفتيها الغليظتين ، فمدّ يده يرفع منظارها عن عينيها ، وهو يقول :

ـ لا تخفى عينيك الجميلتين ، خلف هذا المنظار .. دعينى أر أجمل عينين فى الدنيا .

تركته يخلع منظارها ، وهى جامدة فى مقعدها ، تحدّق فى وجهه بنظرة عجيبة ، جعلته يوقن من الفوز بهذه اللعبة الجديدة ، فاعتدل هاتفًا :

ـ ربّاه ! .. ما أجمل عينيك ! .. قلبى يذوب فى سوادهما ، ويسبح وسط رموشهما البديعة ..

قالها دون أن يدرى ما إذا كانت عيناها سوداوين حقًا ، أم أن هذا ظل جفنيها فوقهما ، ورآها تلتقط المنظار من يده فى رفق ، وهى تقول فى خفوت :

ـ أرجوك يا أستاذ (عماد) .. عد إلى مكتبك .

همس فى نعومة :

ـ لا داعى لكلمة أستاذ هذه .. أرجوك .

رأى على شفتيها ابتسامة خفيفة ، وهى تقول :

ـ فليكن ..عد إلى مكتبك يا (عماد) .

كاد قلبه يرقص طربًا ، عند هذه النقطة ، فقد أعلنت بقولها انتصاره ، مما جعله يهتف فى سعادة :

ـ يا إلهى ! .. لقد قلتها أخيرًا .. قلتها يا فاتنتى .

أعادت منظارها إلى عينيها ، وهى تقول :

ـ نعم يا (عماد) .. لقد قلتها .. هيا .. عد إلى مكتبك ، قبل أن يتساءل الموظفون عن سر وجودك هنا لوقت طويل .

تهللت أساريره ، وقال :

ـ بالطبع .. سأعود إلى مكتبى ، وسنلتقى فيما بعد .. بالطبع .

غادر مكتبها وكل خلية من خلاياه ترقص طربًا ..

لقد حقق ماكان يسعى إليه ..

وضع المديرة فى جيبه ..

أو بمعنى أدق .. قلب المديرة ..

عاد إلى مكتبه وثغره يحمل ابتسامة واسعة ، أثارت دهشة زملائه ، الذين لم يشاهدوا من قبل أحدهم ، يغادر مكتب المديرة ، وهو يحمل مثل هذه الابتسامة ، حتى أن إحدى زميلاته هتفت فى فضول :

ـ لقد اكتفت بخصم اليومين من راتبك .. أليس كذلك ؟

هز رأسه نفيًا فى ثقة ، وقال :

ـ مطلقًا .

سأله زميل آخر فى دهشة :

ـ ماذا فعلت إذن ؟

اتسعت ابتسامته الواثقة أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ سيدهشك ما ستفعله .

كان واثقًا من أن قرارها سيدهشهم حتمًا ، فقد غادر مكتبها وهو يضع قلبها فى جيبه ، ومن المستحيل أن تؤذى المرأة رجلًا وقعت فى حبه ..

خبرته تؤكد له هذا ..

إنه سيتميز بحبها حتمًا بين أقرانه ..

ربما جعلته يرأس المكتب ..

أو منحته ترقية استثنائية ..

أو مكافأة خاصة ..

المهم أن قرارها لن يكون طبيعيًا ..

هذا مايثق به تمامًا ..

ولم تمض لحظات ، حتى اندفع سكرتير مكتب المديرة داخل الحجرة ، وهو يهتف به :

ـ ما الذى فعلته بالمديرة يا (عماد) ؟

ابتسم (عماد) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ وماالذى يدعوك إلى السؤال ؟

لوّح سكرتير مكتبها بورقة فى يده ، وهو يقول فى انفعال :

ـ هذا القرار .. إنها لم تتخذ مثيلًا له ، منذ عملت معها .

قفزت زميلته إلى السكرتير ، وهتفت فى فضول :

ـ دعنى أقرأ هذا القرار .

جرت عيناها على سطور القرار فى سرعة ، قبل أن تهتف فى دهشة بالغة :

ـ مستحيل !

ثم رفعت عينيها إلى (عماد) ، مستطردة :

ـ ماذا فعلت بها حقًا يا (عماد) ؟

اتسعت ابتسامة (عماد) الواثقة ، وزميله يسأل السكرتير :

ـ ماهذا القرار بالضبط ؟

تطلّع السكرتير إلى (عماد) ، وقال :

ـ لقد أمرت بإحالته إلى التحقيق .

تلاشت ابتسامة(عماد) ، وحلّت محلّها نظرة دهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى ذهول جارف ، والسكرتير يستطرد :

ـ وطلبت إحالته أيضًا إلى طبيب نفسى ، لفحص حالته العقلية .

ثم تطلّع مرة أخرى إلى (عماد) يسأله :

ـ ماذا فعلت بها حقًا يا (عماد) ؟

وانفجر (عماد) باكيًا .

* * *

ملخّص ماسبق نشره :

تلقى مكتب (الموساد) فى (باريس) رسالة ناقصة ، من عميل فى (مصر) ، تشير إلى وصول أخطر أفراد المخابرات المصرية إلى (باريس) ، لتصفية مكتب (الموساد) هناك ، وهو يحمل اسمًا يبدأ بحرف الراء ، وراقب (الموساد) الرجال الثلاثة ، الذين وصلوا على الطائرة المنشودة ، ويحملون أسماءً تبدأ بحرف الراء ، وهم (رشدى) و (رفعت) ، ووصلت على نفس الطائرة (ريم) ، التى ارتبطت بـ (رشدى) ، وبدأت بينهما قصة حب هادئة ، وسط أحداث مثيرة عاصفة ..

وبدأ (الموساد) محاولاته للتخلّص من الرجال الثلاثة ، ولكنه فشل فى هذا ، فى نفس الوقت الذى تعرض فيه مكتب (الموساد) لهجوم مجهول ، سرق خلاله العميل المجهول بعض الأوراق السرية الهامة ، مما أثار غضب المسئولين فى (القدس) ، وفجرّ غضب (كاهان) ، مدير مكتب (باريس) ، ودفع زميله (إيزاك) إلى تولّى السلطة بدلًا منه ..

وبدأ المفتش الفرنسى (مارتان) تحرياته ، لمعرفة سر تعرّض ثلاثة من المصريين لمحاولات قتل ، فى يوم واحد ، ولكنه لم ينجح فى التوصّل إلى شىء ، فى نفس الوقت الذى ألقى فيه الاسرائيليون القبض على (رشدى) ، وحاولوا دفعه للاعتراف بأنه العميل المنشود ، لولا أن بلغتهم معلومات رجالهم فى (القاهرة) ، التى أكّدت أن (رشدى) تاجر من تجار (الموسكى) بالفعل ، وهنا قرّر (إيزاك) قتل (رشدى) ، الذى علم الكثير عنهم ..

وانقبضت كل عضلة فى جسد (رشدى) ..

وابتسم ملك الموت(*)

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزئين الأوّل والثانى ، فى عددى (كوكتيل ٢٠٠٠) ، رقمى (١٢) ، (١٣) ، تحت عنوان (العنقاء) ، و (جزيرة القدر) .

١٢ ـ جاسوس برغم أنفه ..

توقفت سيارة فرنسية الصنع ، أمام فندق (ريتز) ، وفى داخلها بدت (ريم) فى أبهى صورها ، وإن تعارض ذلك التوتر البادى على وجهها ، مع ثوبها الأزرق الرقيق ، وهى تقول للشاب الذى يقود السيّارة ، فى شىء من العصبية :

ـ لست أدرى كيف يمكننى مواصلة عملى بصورة طبيعية ، ونحن لم نعثر بعد على أدنى أثر لـ (رشدى) .

قال الشاب ، محاولًا تهدئتها :

ـ اطمئنى يا (ريم) .. لقد أكدّت لك أن اختطاف (رشدى) مجرّد خطأ ، ولن يلبث مختطفوه أن يدركوا أنهم ظفروا بالرجل الخطأ ، وأنه مجرّد شخص عادى ، لاصلة له بأعمالنا .

هتفت فى حدة :

ـ وماذا تظنهم يفعلون به ، عندما يكشفون هذا ؟ .. إنهم لن يسمحوا له بالخروج حيًا ، بعد أن عرف عنهم كل ماعرف .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها فى حذر :

ـ ماذا تظنينهم يفعلون به ؟

لوّحت بكفها ، قائلة :

ـ يقتلونه مثلًا .

نطقتها فى لهجة أقرب إلى البكاء ، مما جعله يصمت بعض الوقت ،

ويتطلّع إليها مشفقًا ، قبل أن يسألها فى خفوت :

ـ (ريم) .. أتحبين (رشدى) هذا ؟

ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تومئ برأسها إيجابًا ، فعضّ الشاب شفته السفلى ، وهو يغمغم :

ـ كنت أخشى هذا .

التفتت إليه ، تسأله فى دهشة :

ـ تخشاه ؟! .. ولماذا تخشى هذا يا (علاء) ؟

تنهّد وهو يبتسم فى مرارة ، وقال :

ـ لقد فاز بما لم أنجح أنا فى الفوز به .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول فى ارتباك :

ـ (علاء) .. هل ..

استوقفها بإشارة من يده ، وقال :

ـ تظاهرى بأننى لم أقل شيئًا .

ثم أضاف فى حزم ، وهو يشير إلى صدره :

ـ وأعدك أننى سأبذل أقصى جهدى ، للبحث عن (رشدى) ، وإعادته لك سليمًا معافى .

غمغمت فى ارتباك أكثر :

ـ (علاء) .. إننى ..

قاطعها مرة أخرى ، قائلًا :

ـ لن نناقش هذا الآن يا (ريم) .. غير مسموح لنا بمناقشة الأمور الشخصية فى أثناء العمل .

تنهّدت قائلة :

ـ العمل ؟! .. أتظننى أستطيع القيام بعملى الليلة ؟

أجابها فى حسم :

ـ ينبغى أن تبذلى أقصى جهدك لذلك ، فلقد أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من النصر ، ولن نفسد العملية كلها الآن .. هيا .. حاولى السيطرة على أعصابك ، وممارسة حياتك على نحو طبيعى ، لا يلفت الانتباه .

تمتمت :

ـ سأحاول .

ابتسم مشجّعًا ، ثم هبط من السيارة ، ليفتح بابها ، وعاونها على مغادرتها ، وهو يقول :

ـ تبدين فاتنة الليلة .

غمغمت :

ـ أشكرك .

تركها تمضى إلى داخل الفندق ، ثم أطلق زفرة من أعماق قلبه ، وهو يقول :

ـ هنيئًا لك يا (رشدى) ، ويدهشنى أن تقع فاتنة مثلها فى حب ساذج مثلك تذكر اختطاف رشدى فأعقب قوله بالتقاء حاجبيه ، وهو يستطرد :

ـ ولكن المهم أوّلًا أن نعثر عليك يا رجل .. وعلى قيد الحياة .

كان هذا هو نفس الأمل ، الذى يملأ أعماق (ريم) ، وهى تعبر صالة فندق (ريتز) ، فى طريقها إلى ملهاه الليلى ، قبل أن تسمع ذلك الصوت المألوف يهتف :

ـ آنسة (ريم) .. يالحظى الحسن !

التفتت إلى صاحب الصوت ، وقالت :

ـ أستاذ (رءوف) .. كيف حالك ؟ .. يا لها من مصادفة !

ابتسم (رءوف) تلك الابتسامة الجذّابة ، التى تزيد من وسامته ،

وهو يصافحها ، وينحنى ليلثم أطراف أناملها ، قبل أن يعتدل قائلًا :

ـ ليست مصادفة تمامًا ، فأنا أقيم هنا .

كانت تعلم هذا ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد قالت شاردة :

ـ حقًا ؟!

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا عنك ؟ .. ماذا تفعلين هنا ؟

أشارت إشارة مبهمة ، وهى تقول :

ـ لدى موعد هنا .

سألها مبتسمًا :

ـ موعد عمل ، أم .. ؟

هتفت فى سرعة :

ـ إنه موعد عمل بالطبع .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ على أية حال ، يسعدنى أن التقيت بك الآن ، فأنا فى طريقى لعقد أفضل صفقات عمرى ، وسأعتبر لقاءنا هذا فألًا حسنًا .

قالت ، وهى تشعر بالضجر :

ـ أتمنى هذا ، وأتمنى أن ..

سطع مصباح التصوير ليبتر عبارتها ، والتفت (رءوف) فى غضب إلى (رفعت) ، الذى لوّح بآلة التصوير ، قائلًا :

ـ يبدو أنها أصبحت عادة .

هتف (رءوف) فى غضب :

ـ عادة قبيحة .

هزّ (رفعت) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لكل وجهة نظره .

اندفع (رءوف) نحوه ، هاتفًا :

ـ أيها الحقير .

هوت قبضته على فك (رفعت) ، بكل ما يملأ نفسه من غضب ، ولكن (رفعت) تفادى الضربة فى رشاقة ، ولكم (رءوف) فى معدته ، قائلًا :

ـ مهلًا يا رجل .. ليست هذه هى الوسيلة .

انثنى (رءوف) ، ثم اعتدل فى سرعة ، ودار على قدمه اليمنى فى مرونة مدهشة ، وركل (رفعت) فى وجهه ، وهو يقول :

ـ ما رأيك فى هذه ؟

توترت (ريم) فى شدة ، واندفع رجال أمن الفندق يمسكون المتقاتلين ، ويمنعون اشتباكهما ، وهتف مسئول الفندق :

ـ ليس هنا أيها السيدان .. لن نسمح بهذا هنا .

ابتسم (رفعت) فى سخرية ، وهو يقول لـ (رءوف) :

ـ ما رأيك فى اختيار ساحة نزال أخرى ؟

عدّل (رءوف) ثيابه ، وقال فى صرامة :

ـ ليس الليلة .

ورمق (رفعت) بنظرة نارية ، مستطردًا :

ـ ربّما فيما بعد .

واندفع مغادرًا الفندق ، و (رفعت) يردّد من خلفه :

ـ من يدرى ؟ .. ربما التقينا أقرب مما نتصوّر .

أما (ريم) ، فقد غادرت ردهة الفندق فى خطوات سريعة ، ودلفت إلى

الملهى الليلى ، وهى تنظر إلى ساعتها فى قلق ، ثم لم تلبث أن أدارت عينيها فى المكان ، حتى لمحت مدير الشركة الفرنسية ، الذى نهض لاستقبالها ، وهو يبتسم ابتسامة هادئة ، فاتجهت إليه تصافحه فى حرارة ، وهى تقول بالفرنسية :

ـ معذرة .. لقد التقيت بصديق قديم ، فى ردهة الفندق ، وهذا سبب تأخيرى .

قال مبتسمًا :

ـ لا عليك .

جذب مقعدها ، ودعاها للجلوس ، ثم جلس أمامها ، وهو يقول :

ـ هل درست العرض جيّدًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ إنه عرض جيّد .. المهم أن نناقش التفاصيل .

بدأ يشرح كل مالديه فى اهتمام بالغ ، فى حين عجزت عن التركيز فيما يقول ، وعقلها شارد بعيدًا ..

مع الرجل الذى تحب ..

مع (رشدى) ..

وكانت تلقى على نفسها سؤالًا واحدًا ..

أهو على قيد الحياة ؟ ..

أم ..

أم ماذا ؟ ..

★ ★ ★

كانت فوهة المسدس ملتصقة تمامًا بجبهة (رشدى) ، وعلامات الغضب والسخط تملأ ملامح (إيزاك) فى وضوح ، وسبّابة هذا الأخير فى طريقها

لاعتصار زناد المسدس ، وكل عضلة فى جسد (رشدى) منقبضة متوترة ، عندما قال (كاهان) فى حزم :

ـ حذار أن تفعل .

التفت إليه (إيزاك) فى حدة ، وقال فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟ .. هذا الرجل يعلم الكثير عنا ، ومن المحتم أن أقتله .

قال (كاهان) فى صرامة :

ـ لا .

ثم نهض من مقعده ، واتجه إلى حيث (رشدى) ، وأبعد فوهة مسدس (إيزاك) عن جبهته ، وهو يقول :

ـ لقد سمحت لك بتجربة أسلوبك ، ولم يُسفر هذا عن نتائج حسنة ، ولهذا سأستعيد قيادة العملية ، وستسير الأمور بأسلوبى أنا .

خفض (إيزاك) مسدسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ وما الذى يقوله أسلوبك هذا ، بشأن تاجر (الموسكى) ؟

أجابه (كاهان) فى انفعال :

ـ يقول : إننى أستطيع الاستفادة منه ، بدلًا من قتله .

كان (رشدى) ينقل بصره بينهما فى حيرة وتوتر ، وهما يتبادلان هذا الحديث بالفرنسية ، ثم مال (كاهان) نحوه ، وسأله بالعربية :

ـ قل لى يا (رشدى) : هل تعرف (رءوف ذهنى) ، و (رفعت سعيد) ؟

أجابه (رشدى) فى توتر :

ـ نعم .. إنهما مصريان ، وصلا معى على نفس الطائرة .

قال (كاهان) :

ـ عظيم .. مامعلوماتك عنهما ؟

هزّ (رشدى) كتفيه ، وقال :

ـ لست أعلم الكثير عنهما .. كل ما أعلمه هو أن أحدهما رجل أعمال ، والثانى مصوّر صحفى .

سأله (كاهان) :

ـ وهل هذا حقيقى ؟

ارتبك (رشدى) ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. هذا ما أخبرانى به .

لوّح (كاهان) بيده ، قائلًا :

ـ حاول إذن أن تتأكّد مما قالاه .

سأله (رشدى) فى حيرة :

ـ كيف ؟

أجابه (كاهان) فى صرامة مباغتة :

ـ بأن تزداد التصاقًا بهما ، وتنقل إلينا كل ما تعلمه عنهما .. هل تفهم ؟

اتسعت عينا (رشدى) ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ جاسوس ؟! .. أتريد منى أن أصبح جاسوسًا ؟

هتف (كاهان) :

ـ لك مطلق الحرية فى هذا ، فإما أن تصبح جاسوسًا لحسابنا ، أو ..

انتزع مسدسه فى حركة سريعة ، وألصقه بجبهة (رشدى) ، وهو يضيف فى خشونة :

ـ أو واحدًا من قتلانا .

اتسعت عينا (رشدى) فى رعب ، و (كاهان) يسأله :

ـ ماذا تختار يا مسيو (رشدى) ؟ .. هيا .. أبلغنى قرارك على الفور ، فلست أتميّز بفضيلة الصبر للأسف .

خفض (رشدى) رأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ وما الذى يمكننى قوله ؟

وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يضيف :

ـ إننى أوافق .

وتألّقت عينا (كاهان) فى ظفر ، فى حين لم ينبس (رشدى) ببنت شفة ..

لقد صار جاسوسًا ..

جاسوسًا برغم أنفه .

* * *

١٣ ـ منتصف الليل ..

عبرت سيارة (رءوف ذهنى) ذلك الشارع الواسع، خلف متحف اللوفر(*)، ثم انحرفت يمينًا، وقطعت أحد الشوارع الضيقة بسرعة كبيرة، قبل أن تنحرف يسارًا، وتتوقف على بعد عدة أمتار، من مبنى السفارة الاسرائيلية، ونفث دخانها فى عمق، وزميله (عونى)، الجالس إلى جواره، يقول فى قلق:

ـ ألم يكن هناك مكان أفضل من هذا؟.. أنت تعلم أن كل العرب، المقيمين هنا فى (باريس)، يبغضون ذلك المبنى، وكل من يقترب منه.

قال (رءوف) فى لا مبالاة:

ـ لست أنا من اختار الموعد.

ألقى (عونى) نظرة أخرى على المبنى، وتمتم فى توتر بالغ:

ـ لست أعترض على الموعد، ولكن على المكان.

تطلّع (رءوف) إلى ساعته، وقال فى هدوء:

ـ لا تقلق نفسك بهذا.. عقارب الساعة تقترب من منتصف الليل فى سرعة، وسينتهى كل شىء بعد قليل.

نظر إليه (عونى)، وهزّ رأسه قائلًا:

ـ أنت تمتلك أعصابًا فى برودة الثلج.

(*) متحف اللوفر: أشهر متاحف العالم، للفن الكلاسيكى والقديم، ومقرّه (باريس)، وفيه تُعرض لوحات كبار الفنانين، أمثال (مايكل أنجلو) و (ليوناردو دافنشى)، وغيرهم.

نفث (رءوف) دخان سيجارته مرة أخرى، وقال:

ـ مهنتنا تحتاج إلى مثل هذه الأعصاب.

لوّح (عونى) بكفه، وقال:

ـ ولكن ليس كل من يمتهنها يمتاز بهذا.

قالها وألقى نظرة على ساعته، بدوره، وخُيّل إليه أن عقاربها، على عكس ساعة (رءوف)، تسير فى بطء شديد، حتى ليبدو أن تلك الدقائق الخمس، التى تفصله عن منتصف الليل، ستستغرق دهرًا كاملًا، قبل أن تمضى..

وراح عقرب الثوانى يقطع المسافات فى بطء مثير أمام عينيه، و (رءوف) يدخّن سيجارته فى هدوء شديد، يزيد من عصبية (عونى) وتوتره..

ثم التقى عقربا الساعة، عند أعلى أرقامها، ووجد (عونى) نفسه يهتف:

ـ أخيرًا.

ابتسم (رءوف) ابتسامة ساخرة، وهو يرمق (عونى) بنظرة جانبية، فهتف هذا الأخير فى عصبية:

ـ الموعد فى منتصف الليل تمامًا.. أليس كذلك؟

أجابه (رءوف):

ـ نعم.. ولقد وُصلوا فى موعدهم.

قالها وهو يشير إلى مصباحى سيارة، سطعا عند المنحنى المواجه، ثم خبيا، وعادا يسطعان مرة أخرى، فأجاب الإشارة بحركة مماثلة فى مصباحى سيارته، رأى بعدها السيارة تتجه إليهما، فسأل (عونى):

ـ هل أحضرت كل شىء؟

أشار (عونى) إلى حقيبة كبيرة ، تستقر فى المقعد الخلفى ، وقال :

ـ كل شىء على مايرام .

اقتربت السيارة الأخرى ، وتوقفت إلى جوار سيارتهما تمامًا ، ثم هبط منها رجل طويل القامة ، ألقى نظرة باردة على (عونى) و (رءوف) ، قبل أن يقول :

ـ مسيو (رءوف ذهنى) .. أليس كذلك ؟

أجابه (رءوف) فى برود :

ـ ظننتك تحفظ وجهى عن ظهر قلب .

لم يبد الطويل أى اهتمام بملاحظة (رءوف) ، بل التفت إلى السيارة ، وأشار إلى رجل نحيل داخلها ، فغادر الرجل السيارة بدوره ، وهو يحمل حقيبة أخرى كبيرة ، فتح باب السيارة الخلفى ، ودفعها فوق الأريكة ، ثم التقط الحقيبة الأخرى بدلًا منها ، وعاد بها إلى سيارته ، والطويل يقول لـ (رءوف) :

ـ أظنها أفضل صفقات عمرك .

قال (رءوف) ، وهو يبذل أقصى جهده ؛ ليخفى ذلك الانفعال الصارخ فى أعماقه :

ـ إنها كذلك بالفعل .

أما (عونى) ، فلم ينجح فى كبت مشاعره ، وهتف :

ـ إنها أفضل صفقات عمرنا حقًا ، والرؤساء فى (القاهرة) سوف ..

سطعت الأضواء فى وجوه الجميع فجأة ، وارتفع صوت المفتش (مارتان) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فليستسلم الجميع دون مقاومة .. إننا نحاصر المكان .

صرخ (عونى) فى ارتياع :

ـ ما هذا ؟

أما النحيل ، فقد قفز خلف عجلة قيادة سيارته ، وأدار محركها فى سرعة ، صارخًا فى الطويل :

ـ إنه فخ .. اسرع يا (بن جوريون) .. اسرع .

تراجع الطويل فى ذعر ، وامتدت يده تخرج مسدسه ، و (رءوف) يهتف فى غضب :

ـ اللعنة ! .. إنه فخ بالفعل .

أخرج الطويل مسدسه ، وأطلق منه بضع رصاصات ، نحو المصابيح الساطعة فى وجهه ، والتى تغشى بصره ، وحطم أحد المصابيح بالفعل ، ولكن رصاصات الشرطة انهمرت عليه كالمطر ، واخترقت رأسه وصدره ، فأطلق صرخة ألم هائلة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فى حين اندفع النحيل بالسيارة ، محاولًا الفرار ، ولكن سيارة من سيارات الشرطة الفرنسية اعترضت طريقه ، وتبادل أفرادها معه إطلاق النار ، فأردوه قتيلًا فى لحظة واحدة ..

وصرخ (عونى) فى انهيار :

ـ لقد انتهينا .

ولكن (رءوف) اختطف الحقيبة الأخرى ، وهو يخرج مسدسه ، ويقفز خارج السيارة ، هاتفًا :

ـ ليس بعد .

تبعه (عونى) فى ارتياع ، فى نفس اللحظة التى أضيئت فيها كل الأنوار ، المثبتة فى أسوار مبنى السفارة الإسرائيلية ، وانحرفا فى طريق جانبى ، وراحا يعدوان بكل قوتهما ، و (رءوف) يهتف :

ـ أرأيت لماذا اختاروا ذلك الموقع يا رجل ؟ .. السفارة الإسرائيلية تتوقع دائمًا أى هجوم ، من قبل العرب ، أية دولة ، ولهذا تحيط سفارتها بجهاز أمنى متحفز ، سيتدخل حتمًا ، إذا مادار قتال أمام أسوار السفارة ،

لأى سبب كان .. أأدركت الآن لماذا اختاروا هذا المكان ؟

هتف به (عونى) ، وهو يرتجف رعبًا :

ـ المهم أن نبتعد عن هنا بقدر الإمكان ، وأن ..

بتر عبارته بغتة ، عندما رأى تلك السيارة الصغيرة ، التى اندفعت نحوهما ، من المنحنى المقابل ، وتراجع هاتفًا :

ـ إنه فخ آخر .

قفز (رءوف) جانبًا ، متفاديًا السيارة الصغيرة ، التى واصلت طريقها فى سرعة ، وصدمت (عونى) صدمة جانبية ، ألقت به على قارعة الطريق ، ثم دارت حول نفسها فى مهارة مدهشة ، وانطلقت مرة أخرى نحو (رءوف) ، و (عونى) يصرخ :

ـ لقد كسر ساقى .. ذلك اللعين كسر ساقى .

أما (رءوف) ، فقد انتزع مسدسه ، وصوّبه نحو السيارة فى انفعال ، ولكن السيارة انحرفت فى سرعة كبيرة ، وبمناورة ممتازة ، تشف عن براعة سائقها وحنكته ، ثم مالت نحو (رءوف) على نحو مربك ، وضربت حقيبته فى قوة ، فانكسر رتاجها ، وتناثرت محتوياتها وسط الطريق ، قبل أن تواصل السيارة اندفاعها ، وتضربه ضربة متوسطة ، كانت تكفى لدفعه نحو الحائط ، حيث ارتطم به فى قوة ، ثم سقط على وجهه فاقد الوعى ..

وفى هدوء ، توقفت السيارة الصغيرة ، وهبط سائقها متجهًا نحو تلك الأكياس الصغيرة ، ذات المسحوق الأبيض الناعم ، التى تناثرت من الحقيبة ، وانحنى يجمع بعضها فى هدوء مثير ، على الرغم من صوت سيارات الشرطة ، الذى يقترب فى سرعة ، وبعدها عاد إلى السيارة ، وانطلق بها مبتعدًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى اختفت فيها سيارته فى أوّل منحنى ، ظهرت سيارة الشرطة ، من المنحنى المقابل ، وضغط سائقها فرامله فى قوة ،

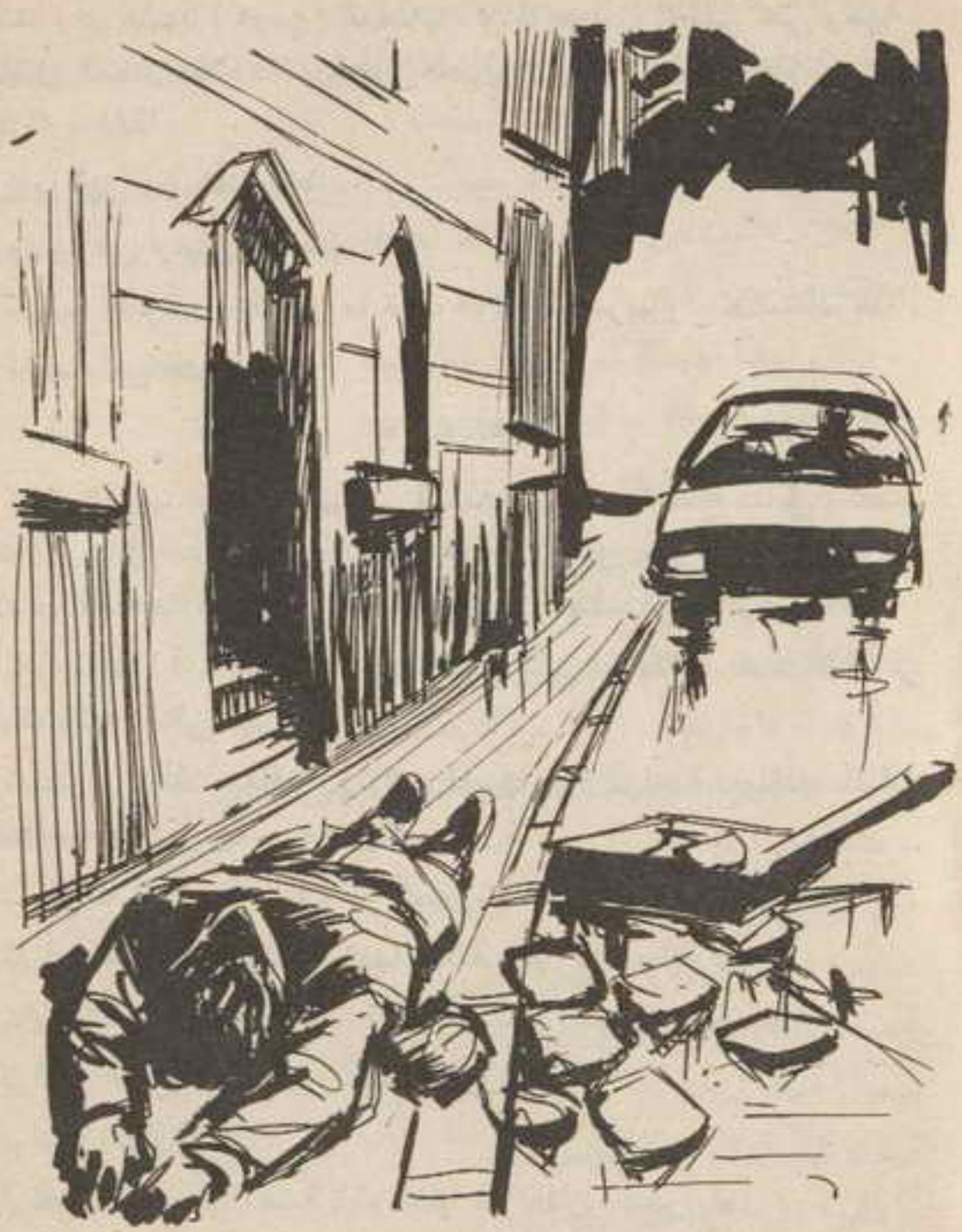

عندما رأى مشهد (عونى) المصاب، و (رءوف) الملقى على وجهه، وأكياس المخدّر ملقاة متناثرة فوق الطريق، وقفز المفتش (مارتان) من سيارته، هاتفًا :

- يا إلهى ! .. لقد سقطا .

وتنهّد فى ارتياح، مستطردًا :

- كنت أعلم أنه هناك أمر ما خلف هؤلاء المصريين .. كنت أعلم هذا .

وابتسم فى ظفر ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا، إلا بضع دقائق، عندما رأت (ريم) (رشدى) يعبر باب الفندق، والإرهاق يبدو على كل خلية من خلاياه، فاندفعت نحوه غير مصدّقة، وهى تهتف فى حرارة :

- (رشدى) ! .. حمدًا لله .. حمدًا لله على سلامتك .. كدت أشكّ فى رؤيتك ثانية، على قيد الحياة .

تمنت لو تعلّقت بعنقه، وتركت نفسها بين ذراعيه، ولكنها اكتفت بمصافحته فى حرارة، وهو يهتف بدوره :

- ولا أنا يا (ريم) .. ولا أنا تصوّرت أننى سأحيا مرة ثانية .

ثم أمسك كتفيها، وتطلّع إليها لحظة، قبل أن يستطرد :

- ولكن لماذا أنت هنا ؟ .. لماذا لم تذهبى إلى فراشك بعد ؟

ترقرق الدمع فى عينيها، وهى تقول :

- كنت أنتظرك .

ارتفع حاجباه فى دهشة، ثم التقيا فى حنان، وهو يقول :

- تنتظرينني أنا ؟!

انحدرت دمعة فرح من عينيها، وهى تقول :

- لم أفقد الأمل أبدًا، فى عودتك سالمًا .

غمرته سعادة الدنيا كلها، مع كل هذا الحب، الذى تتحدّث به، فتطلّع إلى عينيها غير مصدّق، وهتف مخلصًا :

- يا إلهى ! .. لو أننى أعلم أن محنتى ستفجّر عواطفك الحقيقية، على هذا النحو، لطلبت من أولئك الأوغاد اختطافى منذ زمن .

سألته فى حرارة :

- ولكن لماذا اختطفوك ؟ وماذا فعلوا بك ؟ ومن هم بالضبط ؟

تلفّت حوله فى قلق، قبل أن يجيبها :

- كانوا يظنوننى شخصًا آخر .

هتفت فى دهشة :

- فقط .

تلفّت حوله مرة أخرى فى انزعاج، قبل أن يهمس :

- أرجوك يا (ريم) .. لاداعى للتحدّث عنهم هنا .

عقدت حاجبيها، وهى تتطلّع إليه لحظة، ثم قالت :

- ماذا فعلوا بك يا (رشدى) ؟

قال فى توتر :

- ليس هنا يا (ريم) .. ليس هنا .

أمسكت يده، وهى تقول فى صرامة :

- ماذا فعلوا بكَ ؟

ارتبك فى شدة، وهو يهمس :

- طلبوا منى أن أعمل لحسابهم .

تراجعت هاتفة :

ـ ماذا ؟ .

ثم عادت تمسك يده ، وتتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهى تقول :

ـ اسمع يا (رشدى) .. يبدو أننا لن ننعم بنوم هادئ الليلة ، فلن أتركك حتى تقصّ على ماحدث .. كل ماحدث .

لم يعترض هذه المرة ، وراح يقص عليها كل شىء ..

وبكل التفاصيل ..

★ ★ ★

أطلقت إطارات سيارة (إيزاك) صريرًا عاليًا ، وهى تتوقف أمام تلك الفيلا الصغيرة ، التى يقيم فيها (كاهان) ، فى قلب (باريس) ، والتى تحمل لافتتها اسم (المركز الثقافى الإسرائيلى) ، وقفز (إيزاك) من السيارة ، يدق باب الفيلا فى قوة وعصبية ، حتى فتح (إليعازر) الباب ، وقال بصوته الخشن الغليظ :

ـ هل من أوامر جديدة من القيادة ؟

دفعه (إيزاك) جانبًا ، وهو يعبر الباب ، قائلًا فى انفعال :

ـ أيقظ (كاهان) .. الأمر هام للغاية .

ظهر (كاهان) عند الطابق الثانى ، وهو يهبط فى درجات السلم ، قائلًا فى حنق :

ـ لقد ايقظتنى طرقاتك العنيفة .. ماذا تحمل هذه المرة ؟

لوّح (إيزاك) بالصحيفة ، التى يمسك بها فى يده ، وهو يقول :

ـ أقرأت هذا ؟ .. إنه ملحق خاص ، أصدرته (لوموند) ، عن ضبط شبكة مخدرات دولية ، فى منتصف الليل .

رفع (كاهان) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ منتصف الليل ؟! .. وكيف أمكنهم إصدار مثل هذا الملحق الخاص ،

فى هذا الوقت القصير ؟ .. إنها لم تتجاوز الخامسة صباحًا بعد !!

هتف (إيزاك) :

ـ ليس هذا هو المهم ، فالمفاجأة تأتى مع التفاصيل .. الصحيفة تقول إن الشبكة تضمّ اثنين من موظفى السفارة الاسرائيلية ، ومصريين .

صاح (كاهان) فى ارتياع :

ـ حقًا ؟! .

أضاف (إيزاك) فى عصبية :

ـ وأحد هذين المصريين هو (رءوف ذهنى) .

تفجّر الذهول من وجه (كاهان) ، وهو يهتف فى غضب :

ـ (رءوف ذهنى) ؟! .. هل كان (رءوف ذهنى) أحد المتعاملين معنا ، فى مجال تهريب المخدرات إلى (مصر) ؟! .. لماذا لم يخبرنا أحد إذن ؟ .. لماذا تركونا نراقبه ، ونحيطه بشكوكنا .. بل نحاول قتله ، دون أن يبلغونا بأمره ؟

قال (إيزاك) ، وهو يصبّ لنفسه كأسًا من الخمر فى عصبية :

ـ ربما لأننا لم نبلغهم بشكوكنا حوله ، أو حتى بمراقبتنا له .. لقد رحنا ضحية عدم التنسيق فى العمل يا رجل .

وجرع جرعة من كأسه ، قبل أن يضيف :

ـ وليس هذا أيضًا هو أخطر ما فى الأمر ، فإلقاء القبض على (رءوف) يوصلنا إلى تحديد شخصية الجاسوس المصرى ، على نحو أكثر بساطة ، ولكن الأهم هو أن نتحرّك فى سرعة ، فلن يلبث الرأى العام أن ينقلب على المصريين والإسرائيليين ، وتصبح حركتنا أكثر صعوبة .

أجابه (كاهان) ، وهو يصعد مرة أخرى إلى الطابق الثانى :

ـ لن يحدث هذا .. سأرتدى ثيابى ، وأذهب على الفور إلى السفارة ،

وهناك يمكننا تنسيق العمل ، مع ملحقنا العسكرى .. لا تقلق .. سيسير كل شىء على مايرام .

هتف به (إيزاك) :

ـ وماذا عن الجاسوس ؟ .. ماذا عن (رفعت سعيد) ؟

لوّح (كاهان) بكفه ، قائلًا :

ـ تولّ أمره ، مع (إليعازر) .. لا أريد منه أن يشهد غروب الشمس فى (باريس) .. هيا يا رجل .. إنّ العملية لصالحنا هذه المرة .

برقت عينا (إيزاك) ، وهو يقول :

ـ نعم .. ستنتهى العملية لصالحنا هذه المرة .

وبإشارة من يده ، أخرج (إليعازر) مسدسه ، وجذب مشطه ، واستعدّ لجولة ثانية من القتال ..

ومن اللعبة ..

★ ★ ★

استمعت (ريم) إلى (رشدى) فى اهتمام بالغ ، دون أن تقاطعه مرة واحدة ، ثم بدت على وجهها علامات التفكير العميق ، وهى تقول :

ـ إذن فقد طلبوا منك مراقبة (رفعت) و (رءوف) .

أومأ (رشدى) برأسه إيجابًا ، وقال فى أسف :

ـ هذا صحيح .. ولست أدرى كيف يمكننى فعل هذا ؟

تطلّعت إليه لحظة فى إشفاق ، وقالت :

ـ ليس أمامك سوى طاعة مايأمرونك به .

هتف فى ارتياع واستنكار :

ـ ماذا تقولين يا (ريم) .. أتريدين منى أن أصبح جاسوسًا ؟

أمسكت يده ، وهى تقول :

ـ ليس أمامك سوى هذا ، وإلا فسيقتلونك بلا رحمة ، ولست محترفًا لتواجه أوغادًا مثلهم .. أما (رءوف) و (رفعت) ، فإما أن يكونا محترفين ، وفى هذه الحالة لن تعرف عنهما الكثير ، وسيمكنهما فى الوقت ذاته التصدى لخصومهما ، وإما ألا يكونا كذلك ، وهنا لن يضيرهما أن تنقل أسرارهما إلى هؤلاء الأوغاد .

صمت لحظات ، وهو يدرس منطقها ، قبل أن يتمتم :

ـ ربما كنت على حق . ولكن ..

قاطعته فى حزم :

ـ لا يوجد حل سوى هذا .

خفض عينيه ، قائلًا فى استسلام :

ـ أنت على حق .

تنهّدت فى شفقة ، وهى تتراجع ، وتلقى عليه نظرة طويلة ، قبل أن تقول :

ـ كان ينبغى أن تغادر (باريس) ، قبل أن تواجه كل هذا .

قال فى اصرار :

ـ ماكنت لأتركك وحدك .

ابتسمت فى حنان ، وهى تقول :

ـ من يدرى يا (رشدى) ؟ .. مهمتى أنا أيضًا تقترب من نهايتها ، وربما غادرنا (باريس) معًا ، فى القريب العاجل .

أمسك يدها فى عاطفة ، وهو يقول :

ـ نعم .. من يدرى ؟

★ ★ ★

أزاح (إيزاك) منظاره المقرّب عن عينيه ، وهو يقول لـ (إليعازر) :

ـ ها هوذا .. مازال يواصل انتحاله لشخصية المصوّر الصحفى ، ويلتقط الصور للمفتش الفرنسى ، الذى ألقى القبض على (رءوف) .

جذب (إليعازر) مشط مسدّسه ، وهو يقول :

ـ يمكننا اصطياده أثناء انصرافه .

أعاد (إيزاك) منظاره إلى عينيه ، وهو يقول :

ـ بالطبع ..ثرى ماذا يقول للمفتش (مارتان) الآن ؟

غمغم (إليعازر) بصوته الخشن :

ـ لن يمكنك سماعهما ، من هذه المسافة .

قال (إيزاك) ، وهو يراقب (رفعت) فى اهتمام :

ـ إننى أستطيع قراءة حركات الشفاة .. لقد تلقيت تدريبًا مكثفًا على هذا .

كان يرى (رفعت) عبر منظاره ، وهو يتحدّث مع المفتش (مارتان) بابتسامة كبيرة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستوعب فحوى الحديث ، قبل أن يهتف :

ـ يا للشيطان ؟

سأله (إليعازر) فى اهتمام :

ـ ماذا هناك ؟

واصل (إيزاك) مراقبته لحديث (رفعت) و (مارتان) لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ مفاجأة يا (إليعازر) .

ثم أزاح المنظار ثانية عن عينيه ، وهو يلتفت إلى (إليعازر) ، مستطردًا :

ـ مفاجأة مذهلة .

وكان على حق .

* * *

١٤ ـ سقوط ..

تصاعد غضب (كاهان) تدريجيًا ، وهو يقود سيارته ، متجهًا إلى السفارة الإسرائيلية ..

كان يشعر فى أعماقه بحنق بالغ ، لأن أحدًا من رجال السفارة ، لم يبلغه بحقيقة (رءوف ذهنى) ، وتعاملاته معهم ، على الرغم من أنه هو بالذات صاحب فكرة ترويج المخدرات داخل (مصر) ، ومعاونة المنحرفين من أبنائها ، وتشجيعهم على الاتجار فى تلك السموم القاتلة ، لإفساد الجيل القادم كله ..

هو صاحب فكرة الحرب الطويلة مع المصريين ..

صحيح أنه بقى فى الظل ، ولم يحصل حتى على صفة ديبلوماسية ، داخل الأراضى الفرنسية ، ولكن هذا كان الأفضل ، فى مجال عمله ، الذى يعتمد ـ أكثر مايعتمد ـ على الغموض والسرية ..

ولكن كيف يتجاهلون هكذا ؟ ..

لماذا لا يحاولون التنسيق بين عملهم وعمله ؟

أهى محاولة لانتزاع سبق النصر منه ؟ ..

أم هى وسيلة جديدة ؛ لإبعاده عن الساحة ؟ ..

زاد من سرعة سيّارته فى غضب ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى تجاوزه السرعة المقرّرة داخل العاصمة ، فضغط فرامل السيارة ، ليخفض من سرعتها ، ولكنه رأى ذلك الشرطى ، راكب الدرّاجة البخارية ، يشير إليه بالتوقّف ، فغمغم فى سخط :

لم يكن ينقصنى سوى إضاعة الوقت هذه .

استجاب لإشارة الشرطى ، وتوقّف إلى جانب الطريق ، ولكنه فوجىء بسيارة شرطة تتوقّف خلفه ، وإخرى إلى جواره ، ثم يهبط منهما عدد من رجال الشرطة ، يحاصرون سيّارته ، وكأنهم يمنعونه من محاولة الفرار ، فقال فى عصبية :

ـ لست أظن مخالفة سير بسيطة ، تحتاج إلى كل هذا .

غمغم أحد رجال الشرطة فى سخرية :

ـ مخالفة سير ؟!

أما الآخر ، فمدّ يده إلى (كاهان) ، قائلًا :

ـ أليس من المناسب أن تطلب الإطلاع على رخصة القيادة .

أخذ الرجل يفحص الجواز فى اهتمام ، فى حين قال زميله بنفس السخرية :

ـ وماحاجتنا إلى رخصة القيادة ؟

انتبه (كاهان) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن الأمر يتجاوز بالفعل مجرّد حادثة سير بسيطة ، وخاصة عندما قال الشرطى الأوّل فى اهتمام :

ـ من حسن الحظ أنه لا يحمل جوازًا ديبلوماسيًا ، وإلا تعقّدت الأمور كثيرًا .

سأله (كاهان) فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه الشرطى فى هدوء :

ـ ستعلم كل شىء بعد قليل يا سيّدى .. والآن هل يمكنك معاونتنا ، بفتح حقيبة سيارتك الخلفية .

سأله (كاهان) فى حدة :

ـ ولماذا أفعل ؟

أجابه الشرطى الآخر فى برود :

ـ لأننا نطلب منك هذا .

أدرك (كاهان) عدم جدوى المجادلة والاعتراض، فانصاع للأمر، وغادر سيارته، وفتح حقيبتها الخلفية، ولم يكد يفعل حتى جحظت عيناه فى ذهول، وهو يحدّق فى تلك الأكياس الصغيرة، المملوءة بالمسحوق الأبيض، والمستقرّة فى قاع الحقيبة، فى حين ابتسم مفتش الشرطة الأوّل، وهو يقول ظافرًا :

ـ كان البلاغ محقًا .

صاح (كاهان) :

ـ لست أعلم شيئًا عن هذه المخدرات .. إنها مدسوسة .

قال المفتش الثانى بنفس السخرية :

ـ حقًا ؟! .. وكيف علمت أنها مخدرات ؟

وأحاط معصمى (كاهان) بالأغلال، وهو يضيف :

ـ هل تسلّلت إلى حقيبتك، فى جنح الظلام إذن ؟

صاح (كاهان)، وهو يقاوم قيوده :

ـ إنها مؤامرة .. مؤامرة حقيرة .

دفعه المفتش الأوّل نحو سيارة الشرطة، وهو يقول :

ـ لا تحاول الإنكار يا رجل ..كل الأدلة تدينك بلا أدنى شك، ولقد أبلغنا مجهول أنك زعيم تلك الشبكة، التى تعمل على ترويج المخدرات، بين (مصر) و (إسرائيل)، وأننا سنجد بعض هذه المخدرات فى حقيبة سيارتك .

صرخ فى مرارة :

ـ إنها مؤامرة .. مؤامرة من المصريين .

دفعه المفتش الثانى داخل سيارة الشرطة، وهو يقول ساخرًا :

ـ لقد نجحوا فى مؤامرتهم إذن .. نجحوا تمامًا .

★ ★ ★

اندفع (إيزاك) و (إليعازر) داخل الفيلا الصغيرة، والأوّل يهتف فى انفعال :

ـ مفاجأة يا (كاهان) .. مفاجأة مذهلة .

تلفّت (إليعازر) حوله، قبل أن يقول بصوته الخشن :

ـ إنه ليس هنا .. لم يعد بعد .. كنت أعلم هذا، عندما لم نجد سيارته فى الخارج .

هتف (إيزاك) :

ـ يا للخسارة ! .. إننى أحترق شوقًا ولهفة، لإبلاغه ماكشفناه، عن ذلك المصرى .

قال (إليعازر)، وهو يهزّ رأسه فى توتر :

ـ لن يصدّق هذا أبدًا .

ارتفع فى تلك اللحظة رنين الهاتف، فأسرع (إيزاك) يلتقط سمّاعته، ويقول فى انفعال واضح :

ـ هنا المركز الثقافى الإسرائيلى ..

بتر عبارته، ليهتف :

ـ صباح الخير يا سيادة السفير .. إنه أنا .. (إيزاك بن يهوه) .. لم نجد (كاهان) هنا، و ..

بتر عبارته مرة أخرى، واتسعت عيناه فى دهشة عارمة، وهو يهتف :

ـ ماذا ؟

اقترب منه (إليعازر)، يسأله فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟..

لم يجب (إيزاك)، الذى اتسعت عيناه أكثر وأكثر، وهو يستمع إلى السفير الإسرائيلى فى (باريس)، عبر أسلاك الهاتف، قبل أن ينهى المحادثة فى ذهول عنيف، جعل (إليعازر) يسأله فى توتر أكثر :

ـ ماذا حدث ؟

التفت إليه، قائلًا بنفس الذهول :

ـ لقد ألقوا القبض على (كاهان).

تراجع (إليعازر) كالمصعوق، هاتفًا :

ـ ماذا ؟

ثم سأل فى ارتياع :

ـ من ألقى القبض عليه ؟.. المصريون ؟!

أجابه (إيزاك) ذاهلًا :

ـ بل الفرنسيون.. الشرطة الفرنسية ألقت القبض عليه، بتهمة الاتجار فى المخدرات، وعثروا فى سيارته على كيلو جرامين من الهيروين النقى.

هتف (إليعازر) :

ـ ماذا ؟.. إنها مؤامرة حتمًا.. إنهم المصريون.

أجابه (إيزاك) فى مرارة :

ـ مامن شك فى هذا، فلقد أرسل عميلهم هنا رسالة (فاكس)(*) إلى القيادة فى (تل أبيب)، يبلغهم فيها أمر سقوط (كاهان)، وتحيات المخابرات المصرية أيضًا.

ومرة أخرى، هتف (إليعازر) :

ـ ماذا ؟!

تحرّك (إيزاك) فى المكان، فى غضب عارم، وهو يقول :

ـ إنه يُعلن سخريته منا، ومعرفته رقم هاتفنا السرى فى (تل أبيب)، فى الوقت ذاته، ولقد أبلغنى السفير الآن أنهم غاضبون جدًا هناك، فى (تل أبيب)، وأنهم يمهلوننا يومًا واحدًا، لكشف أمر هذا العميل، وتصفيته، وإلا تمت إعادتنا إلى الوطن، ومحاكمتنا هناك.

ارتجف (إليعازر)، وهو يقول فى غلظة أكثر :

ـ لابد أن نجده إذن.

لوّح (إيزاك) بكفه، هاتفًا :

ـ كيف ؟.. لقد أصبحت أجهل حتى من هو.. (رشدى) تاجر أدوات تجميل فى (الموسكى) بالفعل، و (رءوف) تاجر مخدرات، تم إلقاء القبض عليه، و (رفعت) ليس مصوّرًا صحفيًا، كما أثبت تقرير رجالنا فى (القاهرة)، ولكنه أيضًا ليس رجل المخابرات المنشود، فلقد رأيته بنفسى يقول للمفتش (مارتان) إنه سابط من ضباط إدارة مكافحة المخدرات، وأنه كان يتعقّب (رءوف)، بأوامر من قادته، وبالتعاون مع السلطات الفرنسية، وأنه التقط له عدة صور تكفى لإدانته، إلى جوار ضبطه متلبّسًا.. فمن العميل المصرى إذن ؟

(*) الفاكسميلى : جهاز لنقل الصور والرسائل عن طريق خطوط الهاتف.

غمغم (إليعازر) فى توتر :

ـ لست أدرى .

ضرب (إليعازر) راحته بقبضته ، وقال فى حنق :

ـ هناك خطأ ما حتمًا .. إما أن رجلنا السابق فى (القاهرة) ، قد أخطأ الحرف الأوّل للاسم ، أو أن موعد الطائرة كان مختلفًا ، أو ..

بتر عبارته فجأة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يهتف :

ـ يا للشيطان !!

ثم أمسك ذراع (إليعازر) فى شدة ، مستطردًا :

ـ نحن الذين أخطأنا الفهم منذ البداية .. رجلنا لم يقل : إن المصريين قد أرسلوا أفضل رجالهم ، وإنما أفضل عملائهم ، وهناك فارق كبير بين الحالتين .

سأله (إليعازر) فى اهتمام :

ـ أى فارق ؟

هتف (إيزاك) فى حماس :

ـ فارق ضخم يا رجل .. الفارق بين نجاحنا وفشلنا .. هذا الفارق هو الذى أرشدنى إلى معرفة العميل المنشود يا رجل .. لقد عرفت خصمنا .. عرفته تمامًا ..

وتفجرُ الظفر مع حروف كلماته ..

★ ★ ★

« (رءوف ذهنى) تاجر مخدرات ؟! .. لا يمكننى تصديق هذا أبدًا ! »

هتف (رشدى) بالعبارة ، وهو يلوّح بكفيه فى دهشة ، فهزّت (ريم) رأسها ، وقالت :

ـ أنا أيضًا لم أصدّق هذا ، عندما قرأت ملحق (لوموند) فى الصباح ،

ولكن (رفعت) زارنى ، وقصّ علىّ القصة كلها .

سألها فى دهشة :

ـ (رفعت) زارك ؟! .. متى ؟

أجابته مبتسمة :

ـ فى الصباح الباكر ، ولكن لماذا تبدو غاضبًا هكذا .. هل تغار ؟

ابتسم قائلًا :

ـ بالطبع .

ثم عاد يسألها :

ـ ولكن لماذا زارك (رفعت) فى الصباح ؟

أجابته فى اهتمام :

ـ جاء ليعترف أنه ضابط مكافحة مخدرات مصرى ، وأنه كان يطارد (رءوف) طيلة الوقت .

رفع حاجبيه ، هاتفًا فى دهشة :

ـ ضابط مكافحة مخدرات ؟! .. أليس مصوّرًا صحفيًا ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ كان ينتحل هذه الصفة فحسب ، حتى يمكنه مراقبة (رءوف) وتتبّعه ، وتلك المرات التى التقط فيها صوره ، كانت وسيلة لتبرير وجوده فحسب .

سألها (رشدى) فى ضيق :

ـ ولماذا يأتى فى الصباح الباكر ، ليعترف لك بهذا ؟

ابتسمت قائلة :

ـ أتعدنى ألا تغار ؟

قال فى ضيق :

ـ لا يمكننى أن أعدك بهذا .

أطلقت ضحكة مرحة صغيرة ، قبل أن تقول :

ـ حسنًا .. لقد أتى لخطبتى .

هتف مستنكرًا :

ـ خطبتك ؟! .. (رفعت سعيد) أراد خطبتك ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ اسمه ليس (رفعت سعيد) ، بل (خالد منصور) ، لقد اعترف لى بهذا ، بعد انتهاء مهمته ، وطلب يدى ، و ..

قال فى عصبية :

ـ وماذا ؟

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

ـ ولكننى رفضت .

تهلّلت أساريره ، وهو يهتف فى سعادة :

ـ رفضت ؟ .. أرفضت حقًا يا (ريم) ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت بابتسامة خجلى :

ـ نعم يا (رشدى) .. رفضت عرض (رفعت) .. أقصد (خالد) ، وأخبرته أننى لا أستطيع الموافقة على الارتباط به ؛ لأننى أحب شخصًا آخر .

ارتفع حاجباه فى حنان ، وهو يقول :

ـ حقًا يا (ريم) ؟ .. أأخبرته هذا حقًا ؟

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وأشاحت به ، وهى تقول محاولة إبدال الموضوع :

ـ قل لى : هل نستأجر سيارة ، بدلًا من التعلّق بالمواصلات ؟

قال مبتسمًا ، وقد أدرك محاولتها للفرار :

ـ لا يمكننى هذا .

قالت فى مرح :

ـ اطمئن .. لن يكلفك هذا الكثير .

هزّ رأسه ، قائلًا :

ـ ليست مشكلة اقتصادية كما تظنين .. إنهامشكلة عملية .

سألته :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابها بنفس الابتسامة البسيطة :

ـ إننى أجهل القيادة .

سألته فى دهشة :

ـ قيادة ماذا ؟

أجاب ضاحكًا :

ـ قيادة السيارات .

تطلّعت إليه لحظة فى دهشة ، قبل أن تنفجر ضاحكة ، وهى تقول :

ـ بالطبع .. لماذا أدهشنى ذلك ؟ .. لقد تصوّرت لحظة أن الجميع يجيدون قيادة السيارات ، على الرغم من أن عدد من يجيدون هذا فى (مصر) ، يقلّ بعشرات المرّات عمن يجهلونه .

قال مبتسمًا :

ـ سأنضمّ إلى واحدة من مدارس تعلّم قيادة السيارات ، عند عودتنا إلى (القاهرة) ، و ..

بتر عبارته بغتة ، عندما توقّفت أمامهما سيارة كبيرة ، قفز منها (إيزاك) و (إليعازر) ، اللذان صوّبا مسدسيهما إلى (ريم) ، ثم جذبها

(إليعازر) من يدها فى خشونة، وهو يقول:

ـ تعالى.

اندفع (رشدى) نحوه، هاتفًا:

ـ ماذا تفعل؟

ألصق (إيزاك) مسدسه بجانبه، وهو يقول فى صرامة، باللغة العربية:

ـ لا تتدخل يا (رشدى).. إننا نريدها هى فحسب.

وهتفت (ريم):

ـ لا تتدخل يا (رشدى).. أرجوك.

ولكن (رشدى) قال فى عناد:

ـ لن تذهب (ريم) إلى أى مكان بدونى.

دفعه (إيزاك) بدوره داخل السيارة، وهو يقول فى غلظة:

ـ فليكن.. أنت الجانى على نفسك.

انطلقت بهم السيارة، و (إيزاك) يصوّب مسدسه إلى (ريم) و (رشدى)، وهذا الأخير يقول فى توتر:

ـ ما الذى تريدونه من (ريم) بالضبط؟

أجابه (إيزاك) فى صرامة:

ـ لا شأن لك بهذا.

وقالت (ريم):

ـ هل أرسلكما مسيو (جيرار)؟

ابتسم (إيزاك) فى سخرية، وقال:

ـ لا داعى لهذا التحايل يا آنستى .. لقد كشفنا أمرك ، ولن تجديك محاولات الخداع هذه .

عاد (رشدى) يقول فى عناد :

ـ ما الذى تريدونه منها ؟

أجابه (إيزاك) فى لهجة ظافرة شامتة :

ـ اطمئن يا رجل .. ستعرف بعد قليل ، وربما تندم على معرفتك هذه .. تندم كثيرًا .

وأطلق ضحكة ساخرة مخيفة .

* * *

١٥ ـ اختطاف ..

انهمك مدير المخابرات العامة المصرية ، فى دراسة بعض التقارير العاجلة ، التى وصلته فى الصباح الباكر ، عندما سمع طرقات هادئة على باب مكتبه ، فقال دون أن يرفع عينيه عن الأوراق :

ـ ادخل .

دلف إلى مكتبه ضابط شاب ، رفع المدير عينيه إليه ، وقال :

ـ ماذا هناك يا (شهدى) ؟

أجابه (شهدى) :

ـ لقد اختطف (إيزاك) و (إليعازر) عميلنا فى (باريس) .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ـ لا تجعل هذا يقلقك ، فكل فرد من أفراد جهازنا ، يجيد تمامًا رعاية نفسه ، ثم إن عميلنا هذه المرة يختلف .

أومأ (شهدى) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ الدليل على هذا هو سقوط (كاهان) فى الفخ .. إنهم مصابون بالجنون فى (تل أبيب) ، إذ أن مخطّطهم الأوّل سيُسجن لعشر سنوات على الأقل ، بتهمة الاتجار فى المخدرات ، وهى تهمة مدنية ، لا يمكن الإفراج عن مرتكبها ، قبل انتهاء مدة سجنه ، كما يحدث عادة ، فى قضايا التجسس .

قال المدير فى زهو :

ـ لا تنس سرقة أوراق المركز الثقافى ، الذى أصابهم بجنون آخر .

ثم أضاف بابتسامة كبيرة :

ـ كل شىء على مايرام بالفعل ، ولا تقلق بشأن عميلنا .. لا تقلق أبدًا .

★ ★ ★

التقى حاجبا (ريم) فى صرامة ، وهى تجلس فى ردهة قيلا المركز الثقافى الإسرائيلى ، ومسدس (إليعازر) مصوّب إلى رأسها ، وإلى رأس (رشدى) ، الذى يجلس متوترًا ، على المقعد المواجه لها ، عبر الردهة ، فى حين ارتشف (إيزاك) رشفة من كأسه ، وهو يقول فى ثقة :

ـ لم تعد هناك فائدة من الإنكار يا آنسة (ريم) .. إننى الآن أعرف كل شىء عنك ، وأعلم بكل ثقة ، أنك عميل المخابرات المصرية ، الذى نبحث عنه .

قالت فى حدة :

ـ ثقتك بنفسك ليست فى محلّها ، يا رجل ، فلست أنتمى إلى المخابرات المصرية ، ولا أعلم شيئًا عنها .

أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ قلت لك ألّا فائدة من الإنكار .

وهنا قال (رشدى) فى عصبية :

ـ لماذا لاتتحدثان بالعربية ، حتى يمكننى فهم حديثكما ؟

ابتسم (إيزاك) ، وقال :

ـ لا بأس يا تاجر (الموسكى) .. لن يضيرنا هذا .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا بالعربية :

ـ صديقتك هذه تظن نفسها أذكى نساء الأرض ، ولكننا كشفنا أمرها ، وعلمنا أنها تعمل لحساب المخابرات المصرية .

هتف (رشدى) فى دهشة :

ـ المخابرات المصرية ؟!

قالت (ريم) فى صرامة :

ـ لا تصدّق حرفًا واحدًا من هذا .

ولكنه تابع بنفس الدهشة ، وكأنه لم يسمع اعتراضها :

ـ ألهذا قلت : إنك هنا فى مهمة سرية ، لحساب الحكومة المصرية ؟

برقت عينا (إيزاك) فى ظفر ، فى حين هتفت (ريم) فى غضب :

ـ لماذا قلت هذا ؟

أطلق (إيزاك) ضحكة ظافرة عالية ، وهو يقول :

ـ أرأيت ؟ .. لقد كنت على حق تمامًا .

أما (رشدى) ، فقد شحب وجهه ، وغمغم فى ارتباك :

ـ يا إلهى !. ماذا قلت ؟

قال (إيزاك) ، وهو يلوّح بكفه :

ـ لقد كشفت الحقيقة يا رجل ، وأفسدت على المخابرات المصرية جولتها الأخيرة ..

قالت (ريم) فى حدة :

ـ إنه لا يفهم شيئًا .

ضحك (إيزاك) فى سخرية ، وقال :

ـ بالطبع يا عزيزتى ، ولكن دعينى أهنئ المخابرات المصرية على اختيارها لك ، فلم نتوقع أبدًا أن يكون عميلهم الأوّل امرأة ، ومع رسالة عميلنا السابق ، تركّزت أفكارنا كلها حول البحث عن رجل ، يبدأ اسمه بحرف (الراء) ، دون أن يخطر ببالنا أنك أنت من نبحث عنه ، على الرغم من أن اسمك يبدأ أيضًا بحرف (الراء) .

قالت فى حدة :

ـ لا تتمادَ فى خداع نفسك يا رجل .. قلت لك إننى لست ذلك العميل ، الذى تبحثون عنه .

قال (اليعازر) ساخرًا :

ـ ولكن رفيقك كشف الأمر دون أن يدرى يا فتاتى ، وأنت أخطأت تمامًا ، عندما بحت له بهذا السر ، فهذا يتعارض تمامًا مع ضرورات الأمن ، فى عالم المخابرات .

صاحت فى عصبية :

ـ ولكننى لست أعمل فى المخابرات .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مامعنى كونك تؤدين مهمة سرية ، لحساب الحكومة المصرية إذن ؟

قالت متوترة :

ـ إننى بالفعل أقوم بمهمة سرية ، لحساب الحكومة المصرية ، ولكنها ليست لحساب المخابرات العامة ، بل لحساب مباحث الأموال .

عقد (إيزاك) حاجبيه ، وقال فى دهشة :

ـ ماذا ؟

أجابته فى عصبية :

ـ هذه هى الحقيقة .. إننى أعمل فى شركة مصرية فرنسية ، من شركات الاستثمار الجديدة ، ولقد كشفت مباحث الأموال عن وجود مؤامرة اقتصادية ، بين مدير الشركة الفرنسى ، مسيو (جيرار) ، ومديرها المصرى ، لاختلاس جزء كبير من أرباح الشركة ، وتحويلها إلى هنا ، لخداع مصلحة الضرائب المصرية ، وكان المختلسون على درجة عالية من الخبرة والمهارة ، بحيث درسوا الأمر جيدًا ، وجمعوا معلومات كبيرة ، عن كل رجل يعمل فى مباحث الأموال ، حتى تفشل أية محاولة للتسلل داخل الشركة ، وكشف التلاعب من مصادره الرئيسية ، وهنا انتقانى رجال المباحث المالية ، واتفقوا معى على مجاراة المسئولين فى الشركة المصرية الفرنسية ، واستدراجهم إلى محاولة عقد صفقة معى ، بصفتى المدير المالى للشركة ، تزيد من أرباحهم السرية ، مقابل نسبة كبيرة ، أحصل عليها .. ولهذا سافرت إلى هنا ، واتصلت بمسيو (جيرار) ، الذى عرض علىّ القيام بالعمل ، والمفروض أن ألتقى به فى المساء ، وأسجّل كل مايدور بينى وبينه من حوار ، حتى يتمّ إلقاء القبض عليه متلبسًا ، فيعترف بأسماء شركائه .

صمتت لحظة ، اتجهت خلالها كل الانظار إليها فى دهشة وصمت ، فازدردت لعابها ، وتابعت فى توتر :

ـ كنت أعلم أنها ليست بالمهمة السهلة ، وأن (جيرار) ورجاله لن يتردّدوا فى قتلى ، وتمزيقى إربًا ، إذا ماانكشفت لهم لعبتى ، وكان علىّ

أن أخفى الأمر عن الجميع ، وأن أواصل العمل فى سرية ، حتى تسقط الشبكة كلها .

حدّق (إيزاك) فى وجهها لحظات فى دهشة بالغة ، ثم قال فى عصبية :

ـ لست أصدّق حرفًا واحدًا من هذا .

صاحت (ريم) .

ولكنها الحقيقة .

صاح فى ثورة :

ـ مستحيل !

ولوّح بسبّابته فى وجهها ، وهو يستطرد فى عصبية بالغة :

ـ كذب .. كل كلمة نطقت بها مجرّد كذب ، والواقع خير دليل على هذا .. إنكم أربعة أفراد فحسب ، وصلتم على متن الطائرة المنشودة ، وتبدأ أسماؤكم بحرف (الراء) ، ولم يصل على متنها سواكم ، ممن يحملون جوازات سفر مصرية ، ولقد تأكّدنا من أن الثلاثة الآخرين ليسوا من نبحث عنهم ، ولم يبق سواك .

قال (رشدى) فى توتر :

ـ ولماذا تبحثون عمن يحمل جواز سفر مصرى ؟ .. أليس من المحتمل أن يكون الشخص المنشود قد حضر بجواز سفر زائف ، بجنسية إيرانية مثلًا ، أو بريطانية ، أو ..

قاطعه صائحًا :

ـ مستحيل !

وانتفض جسده فى انفعال جارف ، وهو يقول :

ـ إنكما تحاولان خداعى ..كل كلمة نطقت بها هذه المصرية كاذبة .

قالت (ريم) فى حدة :

ـ اتصل إذن بالضابط (علاء) ، فى السفارة المصرية ، وسيخبرك الحقيقة .

صاح (إيزاك) :

ـ أنت تعلمين أنه لن يفعل أبدًا .

لوّحت بكفيها ، هاتفة :

ـ ماذا تقترح إذن ؟

انعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـ ليس أمامى سوى حل واحد .

سألته فى عصبية :

ـ ما هو ؟

أجابها فى شراسة :

ـ أن أقضى على كل التوتر والقلق فى أعماقى ، وعلى الحيرة والشكوك ، وكل هذا بثمن بخس .

ولوّح بسبّابته ، مستطردًا :

ـ برصاصتين فحسب .

رفع (إليعازر) مسدسه على الفور ، ليصوّبه إلى رأس (ريم) ، وهو ينظر إلى (إيزاك) ، فى انتظار إشارته ، فى حين هتفت (ريم) :

ـ إنك مخطئ .. أقسم لك إنك كذلك .

ولكن (إليعازر) سأل (إيزاك) بصوته الخشن الجاف :

ـ هل أقتلها ؟

قبل أن يجيبه (إيزاك) ، ارتفع صوت صارم ، يقول بفرنسية سليمة :

ـ سيكون هذا أكبر خطأ ترتكبه ، فى حياتك كلها ..

وكانت مفاجأة مدهشة ..

بل مذهلة .

* * *

١٦ ـ المفاجأة الأخيرة ..

اتسعت عينا (إيزاك) فى ذهول ، شاركه إياه (إليعازر) و (ريم) ، وهم يحدقون فى وجه (رشدى) ، الذى نهض مبتسمًا فى ثقة عجيبة ، بدا وكأنها تبدل الكثير من ملامحه الطفولية ، فصاحت (ريم) :

ـ (رشدى) ! .. أتتحدَّث الفرنسية ؟

وهنا صرخ (إيزاك) :

ـ إنه هو .. اقتله يا (إليعازر) .

أدار (إليعازر) فوهة مسدسه نحو (رشدى) فى سرعة ، ولكن (رشدى) انحنى فى مرونة مدهشة ، لاتتفق مع ميل جسده للسمنة ، وتفادى الرصاصة القاتلة ، التى انطلقت من مسدس (إليعازر) ، ثم انقضّ بغتة على هذا الأخير ، وركل المسدس من يده فى قوة ، وأطاح به إلى ركن الحجرة ، ثم هوى على فك (إليعازر) بلكمة ساحقة ، تراجع لها هذا الأخير فى قوة ، وحاول أن يتماسك ، ولكن (رشدى) كال له لكمتين أخريين سريعتين ، فى معدته وأنفه ، جحظت لهما عينا (إليعازر) ، وسقط فاقد الوعى ، و (ريم) تهتف ذاهلة :

ـ (رشدى) ؟! .. كيف فعلت هذا ؟!

اندفع (إيزاك) ، محاولًا بلوغ مسدس (إليعازر) ، الملقى فى ركن الحجرة ، ولكن (رشدى) بلغه بسرعة أكبر ، وجذبه من ياقة قميصه إلى الخلف ، وهو يقول بالفرنسية :

ـ لن تنجح أيها الوغد .

وهوى على فك (إيزاك) بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

- لقد خسرت اللعبة كلها .

سقط (إيزاك) أرضًا ، واتجه (رشدى) فى هدوء إلى ستائر الردهة ، فجذب حبالها فى قوة ، و (ريم) تهتف :

- (رشدى) .. لقد خدعتنى .

أجابها مبتسمًا ، وهو يلوى ذراعى (إيزاك) خلف ظهره ، ويقيّد معصميه بحبل الستائر :

- معذرة يا عزيزتى .. كنت مضطرًا ، فهكذا تحتم اللعبة .

انهار (إيزاك) ، وهو يقول :

- إذن فهو أنت .

أومأ (رشدى) برأسه إيجابا ، وقال :

- نعم أيها الوغد .. هو أنا طيلة الوقت .

هتفت (ريم) فى دهشة :

- أنت ماذا ؟

انتهى من تقييد (إيزاك) ، وانتقل لفعل المثل مع (إليعازر) ، وهو يجيبها فى هدوء :

- أنا رجل المخابرات المصرى يا عزيزتى .

صاحت فى ذهول :

- أنت ؟! .. أنت رجل مخابرات ؟

راح يقيّد (إليعازر) ، وهو يقول :

- نعم يا عزيزتى (ريم) .. أنا واحد من رجال مخابرات (مصر) .. واحد ممن لا يترددون لحظة ، فى التضحية بأنفسهم ، من أجل (مصر) .

قال (إيزاك) فى انهيار :

- لقد خدعتنا .

هزّ (رشدى) كتفيه ، وهو ينهض مبتسمًا ، بعد أن انتهى من تقييد (إليعازر) ، وقال :

- ليس هذا فحسب يا رجل .. اعترف بالحقيقة كلها .. لقد هزمتكم ، ونجحت فى تصفية مكتبكم هنا .. أليس كذلك .

هتفت (ريم) :

- ولكن ماذا عن ارتباكك الدائم ، وادعائك الجهل بالفرنسية ؟

أجابها فى هدوء :

- كان هذا جزءًا من التغطية المطلوبة للشخصية يا عزيزتى ، وكان من الضرورى أن أخفى حقيقة شخصيتى عن الجميع ، حتى عنك شخصيًا .

ثم استدرك فى سرعة ، وهو يلوّح بسبّابته :

- وهذا لحمايتك ، وليس لضعف ثقتى بك ، فمعرفتك لهذا السر قد تؤذيك ، أو تربكك ، أو تؤدى إلى وقوعك فى أيدى هؤلاء الأوغاد .

قالت غاضبة :

- أهذا هو السبب الحقيقى ؟

رفع يده إلى قلبه ، وهو يبتسم قائلًا :

- أقسم إنه كذلك .

قال (إيزاك) ، وهو يكاد يبكى قهرًا :

- إذن فقد تعمّدت إنقاذ (رفعت) ، وقتل رجلنا .

أجابه (رشدى) :

- بالتأكيد ، فلقد لمحت انعكاس الأضواء ، على عدسة منظار قاتلكم المحترف ، فتظاهرت بالسقوط ، عندما لاحظت أن بندقيته مصوّبة إلى (رفعت) ، ودفعت هذا الأخير ، بعيدًا عن مرمى النيران .. أما رجلكم الغبى ، الذى حاول قتلى ، وأنا فى طريقى إلى الفندق ، فلقد رأيت ظله فى

وضوح ، وهو يسير خلفى ، وتعمدت الوقوف عند صندوق الكهرباء المكشوف ، حتى هاجمنى ، فلكمته فى معدته ، وقفزت جانبًا ، وتركت خنجره يضرب الأسلاك المكشوفة ، التى صعقته على الفور .

قالت (ريم) فى دهشة :

- ولكنك كنت إلى جواره ، ترتجف فى هلع .

ابتسم قائلًا :

- كنت أحتاج إلى تبرير قوى لتغلبى عليه ، وإلى شهود على موقفى .

وغمز بعينه ، مستطردًا :

- وكنت ممثلًا بارعًا .. أليس كذلك ؟

عقدت حاجبيها فى شدة ، وهى تقول فى غضب :

- بالتأكيد .. كنت ممثلًا بارعًا طيلة الوقت .

رفع حاجبيه ، هاتفًا :

- لا .. ليس طيلة الوقت .

قالت فى حدة :

- ومن يصدقك ؟

أجابها فى حنان :

- أنت .

خفق قلبها ، وهى تتطلع إليه ، وتسأله فى خفوت ودلال :

- أراهن أن اسمك الحقيقى ليس (رشدى) .. أليس كذلك ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

- تخسرين الرهان يا عزيزتى .. (رشدى كامل) هو اسمى الحقيقى .

قال (إيزاك) فى مرارة ، وهو يبكى بدموع حقيقية :

- ولكن كيف أبلغنا رجلنا فى (القاهرة) أنك تمتلك متجرًا فى (الموسكى) بالفعل ؟

ابتسم (رشدى) ، وقال :

- هذا هو أفضل جزء فى الخطة ، فلقد ورثت متجر أدوات التجميل حقًا .

هتفت (ريم) فى دهشة :

- أنت ؟! .. ومنذ متى يمتلك رجال المخابرات متاجر أدوات تجميل ؟

أطلق ضحكة صافية ، وهو يقول :

- يبدو أن فكرتك عن رجال المخابرات عجيبة يا (ريم) .. إنك تتصورينهم مخلوقات فضائية ، نبتت فى بيئة أخرى ، غير بيئتنا المصرية ، التى نحيا فيها جميعًا .. إننا مواطنون عاديون يا عزيزتى ، وكل منا نشأ فى بيت مصرى صميم ، ولقد نشأت أنا فى بيت مستقر ، يحكمه والدى رحمه الله ، تاجر أدوات التجميل بـ (الموسكى) ، ولقد توفى والدى منذ عام واحد ، ولما كنت وريثه الوحيد ، فقد تسلمت المتجر من بعده ، وحاولت إدارته على نحو جيد ، كما كان يفعل أبى ، ولكن ذلك تعارض كثيرًا مع عملى بالمخابرات ، الذى لم يكن يعلم به أحد ، حتى والدى نفسه ، فطلبت إحالتى للتقاعد ، وهذه العملية كانت بمثابة مكافأة نهاية خدمة .

اتسعت عينا (إليعازر) ، وهو يهتف فى ذهول :

- مكافأة نهاية خدمة ؟!

ابتسم (رشدى) ، قائلًا :

- نعم أيها الوغد ، ولكن القاعدة كانت معكوسة هذه المرة ، فأنا الذى منحت المكافأة لإدارة المخابرات المصرية ، واقترحت القيام بهذه العملية ، كهدية تقاعد ، أهديها إلى (مصر) ، فى نهاية خدمتى الرسمية فى الجهاز .

دار رأس (إيزاك) ، وهو يهتف :

- مستحيل ! .. مستحيل !

ثم سقط فاقد الوعى ، من فرط الانفعال ..

لقد خسر اللعبة ..

خسرها تمامًا ..

★ ★ ★

، على ركّاب طائرة (مصر) للطيران ، التى تغادر (باريس) بعد نصف ساعة ، التوجّه إلى الدائرة الجمركية ودائرة الجوازات ؛ لإنهاء إجراءات المغادرة ،

انطلقت (ريم) تعدو ، عبر صالة مطار (أورلى) فى (باريس) ، استجابة للنداء الثالث والأخير ، واستقبلها (رشدى) عند الدائـرة الجمركية ، وسألها فى اهتمام :

- كيف حال عمليتك ؟

أجابته لاهثة :

- كل شىء تمّ على مايرام .. لقد استقبلنى مسيو (جيرار) عند برج (إيفل) ، حسب اتفاقنا ، ولم يكد يمنحنى حقيبة النقود ، وتعليمات العمل القذر ، حتى أطبق عليه رجال الشرطة الفرنسية ، مع مندوبنا الرائد (علاء) ، وألقوا القبض عليه ، وعلى عصابته كلها ، فى خلال ساعة واحدة ، وفى نفس الوقت ، كان الآخرون فى (مصر) ، يلقون القبض على المدير المصرى وأعوانه .

ابتسم قائلًا :

- عظيم .. لقد قمت بمهمة ممتازة .

قالت وهى ترمقه بنظرة إعجاب :

- لن أبلغ أبدًا عظمة مهمتك .

هتف فى سعادة وبساطة :

- حقًا ؟!

أطلقت ضحكة عالية ، وقالت :

- كم تدهشنى شخصيتك ، وتخلب لبى يا (رشدى) .. إنك إنسان بسيط للغاية ، ورقيق المشاعر ، وعلى الرغم من هذا فأنت أقوى وأفضل رجل مخابرات عرفته .

ابتسم قائلًا :

- وهل يتعارض هذا وذاك ؟

ضحكت قائلة :

- كنت أظنهما يتعارضان فيما قبل .

قال فى بساطة رائعة :

- ولكننى لم أعد رجل مخابرات يا عزيزتى .. لقد انتهى عملى فى المخابرات ، بنجاح هذه المهمة ، وأصبحت مجرّد تاجر أدوات تجميل بسيط .

قالت فى سعادة :

- بل أنت أروع مخلوق عرفته ، فى حياتى كلها .

هتف بكلمته المعهودة :

- حقًا ؟!

ثم انفجرا ضاحكين فى مرح ، قبل أن تسأله فى اهتمام :

- قل لى : ماذا أصاب (إليعازر) و (إيزاك) ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

- لم يعد أمرهما يعنينى .

بدت خيبة الأمل على وجهها ، حينما لم يشبع فضولها ، فأضاف مبتسمًا :

ـ لقد تم استدعاؤهما إلى (تل أبيب) ، وأظنهما يلعنان الآن ذلك اليوم ، الذى التقيا فيه بى .

ضحكت فى زهو ، وهى تقول :

ـ من حقهما أن يفعلا .

اكتست ملامحه بالجدية ، وهو يقول :

ـ دعينا ننتقل الآن إلى المرحلة الأكثر أهمية .

سألته فى اهتمام :

ـ وماهى ؟

قال :

ـ إننا لم نناقش هذا الأمر على نحو صريح ومباشر من قبل ، ولكن دعينا نفعل الآن .. هل تتزوجيننى يا (ريم) .

هتفت :

ـ أتزوجك ؟!

قال فى قلق :

ـ نعم .. إننى أتمنى لو تقبليننى زوجًا .. صحيح أننى لم أعد أعمل فى المخابرات ، وأننى الآن مجرد تاجر بسيط ، ولكننى أعدك أن أبذل أقصى جهدى لـ ..

قاطعته بإشارة من يدها ، وابتسمت قائلة :

ـ ماذا أصابك ؟ .. أنسيت أننى أحببت التاجر البسيط ، قبل أن ألتقى برجل المخابرات ؟!.

هتف فى سعادة :

ـ (ريم) .. أيعنى هذا ؟

قاطعته وسعادتها تفوق سعادته :

ـ ألم تفهم بعد يا رجل المخابرات السابق ؟

ثم مالت نحوه ، هامسة :

ـ إننى أحبك .

وعندما حلقت بهما الطائرة ، عائدة إلى (القاهرة) ، كان قلباهما يحلقان أعلى وأسرع منها ، فقد ربحا اللعبة حتى النخاع ..

لعبة الحب ..

والجواسيس .

* * *

﴿ تمت بحمد الله ﴾

صديقتها

(قصة قصيرة)

هى مشكلة المشاكل ، فى حياتى كلها ..

فهى صديقتها ..

صديقة زوجتى ..

وهذه المشكلة لم تبدأ بعد زواجنا ، وإنما قبل هذا بكثير ، فهى صديقة زوجتى منذ طفولتهما وصباهما ..

وهى ـ كالمعتاد ـ نديمة أحلامها ، وكاتمة أسرارها ..

وهذا هو المزعج فى الأمر ..

فمنذ خطبتنا ، لاحظت أن زوجتى (خطيبتى آنذاك) شديدة التعلق

بصديقتها (كوثر) ، وأنهما تتزاوران أكثر مما ينبغى ـ من وجهة نظرى ـ ولكننى لم أول هذا الأمر اهتماما شديدا ، فى أيام الخطبة ، لأن ظروف عملى لم تكن تسمح لى إلا بأوقات قليلة ، أقضيها مع خطيبتى أسبوعيا ، وكان من المستحيل بالطبع أن نقضى هذه الأوقات القليلة فى مناقشة أمر كهذا ، إذ كان لا يكاد يكفينا لنختلس سويعات من الحديث الهامس العاشق ..

ولكن ، وفى المرات القليلة ، التى ألتقى فيها بـ (كوثر) ، فى أثناء فترة الخطوبة ، لاحظت أمرا لم يرق لى أبدا ..

لاحظت أن (كوثر) تعرف عنى كل شىء تقريبا ..

أو بمعنى أدق ، تعرف كل ما أرويه لـ (فاتن) ـ خطيبتى ـ عن نفسى ..

وكان هذا يعنى أن (فاتن) تروى لـ (كوثر) كل شىء ..

حتى ما أرويه لها ..

وكان هذا يضايقنى كثيرا ، بل يشعرنى أحيانا بالحرج والخنق ، وبأننى أشبه بشخص خاضع لمراقبة دقيقة ، فلا يملك حتى الاحتفاظ بلحظات شخصية وخاصة ..

ولكننى ـ للأسف ـ لم أعترض حينذاك ..

وتزوجنا ..

تزوجت (فاتن) ، وأنا أعلم أننى فى الواقع قد تزوجتهما معا ..

أو فقدتهما معا ..

فمنذ أول صباح لنا ، لعنت ذلك الهاتف ، الذى ظلتا تتبادلان الحديث عبره لساعة كاملة ، قبل أن أقنع (فاتن) بضرورة إنهاء المحادثة ، لمنح باقى المهنئين فرصة الاتصال بنا ..

وبعد أشهر قليلة ، بدأت تلك المحادثات تتخذ طابعا مخيفا ..

طابع الهمس ..

كانت (كوثر) تزورنا كثيرًا ، بمعدل لايقل عن مرتين يوميًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد كانت تتحدث مع (فاتن) لساعة ونصف يوميًا على الأقل ، عبر أسلاك الهاتف ..

وفور ظهورى ، كان حديثهما يتحول إلى الهمس الحذر ، وكأننى ضيف غير مرغوب فيه ، أو عدو شرير ، لاينبغى له معرفة مايدور بين الأصدقاء ..

وكنت واثقًا من أن (فاتن) تفعل نفس ماكانت تفعله ، أيام خطبتنا .. كانت تروى لها أسرارنا ..

وهنا شعرت بخطورة هذه الصداقة ، وبضرورة العمل على إنهائها بأى ثمن ..

ولكن كيف ؟ ..

هذا هو السؤال ..

فى البداية لجأت إلى الأسلوب المباشر البسيط ، وصارحت (فاتن) بكل مايضايقنى ، بشأن علاقتها بـ (كوثر) ، وطالبتها بتخفيف صداقتها بها ، ولكننى فوجئت بـ (فاتن) تواجهنى فى عدوانية عجيبة ، وهى تقول :

ـ ولماذا لاتقطع أنت علاقاتك بأصدقائك ؟

قلت فى دهشة :

ـ وماشأن أصدقائى بالأمر ؟ .. إن صداقتى بهم لم تمس يومًا حياتنا الزوجية .. إنك حتى لاتعرفينهم ، وهم غير معتادين على زيارتنا .

قالت فى صرامة :

ـ هذا شأنهم ، أما صداقتى أنا بـ (كوثر) ، فهى صداقة متينة ، لاتنفصم أبدًا .

هتفت فى غضب :

ـ ولكن ليس من حقك نقل أسرارنا إليها .

قالت فى حدة :

ـ لاتلق الاتهامات جزافًا .. ألديك دليل واحد على ماتقول ؟

أجبتها فى مرارة :

ـ لسنا هنا فى محاكمة ، لتطالبينى بالدليل .

صاحت :

ـ ولسنا هنا فى سجن ، لتطلب منى قطع علاقتى بأفضل صديقة لدى ..

وأدركت أن هذه الوسيلة فاشلة تمامًا ، وأن (فاتن) لن تقطع علاقتها بـ (كوثر) أبدًا إكرامًا لى ..

وكان علىّ أن أجد وسيلة أخرى ..

وبدأت فى معاملة (كوثر) بشىء من البرود والتجاهل ، عسى أن تشعر أنها ضيف غير مرغوب فيه ، فتكف عن زيارتنا ..

ولكن (كوثر) لم تنقطع أبدًا عن زيارتنا ..

كل ماحدث هو أن زوجتى أصبحت تستقبلها عند الباب ، وتنتقل معها مباشرة إلى حجرة الصالون ، وهناك تنهمكان فى حديث هامس ، من المؤكد أننى وأسلوبى محوره الأول ..

وبدأت (فاتن) تعاملنى فى جفاء مماثل ، وكأنها تنتقم لصديقتها منى ..

وأدركت أن هذا الأسلوب أيضًا قد فشل ..

وأخذت أبحث عن أسلوب آخر ..

وفجأة قفزت تلك الفكرة إلى رأسى ..

وكانت فكرة جهنمية بحق ..

وعبقرية ..

وفى أوّل زيارة لـ (كوثر) ، كنت مستعدا تمامًا ، فارتديت أفخر ثيابى ، وأكثرها أناقة ، وحلقت ذقنى فى عناية ، وصففت شعرى جيدًا ، وأضفت لمسة من عطر رجالى فاخر ، ثم أسرعت أسابق زوجتى ، وأستقبل (كوثر) بابتسامة عريضة ..

وفى ذلك اليوم كانت دهشتهما كبيرة ـ (كوثر) و (فاتن) ـ عندما بالغت فى الاحتفاء بـ (كوثر) ، وتبادلت معها حديثًا وديًا باسمًا ، وتصوّرت زوجتى أن هذه هى طريقتى فى الاعتذار ، عن معاملاتى الجافة السابقة مع صديقة عمرها ..

ولكنها لم تفهم ما أعتزمه ..

لقد كانت هذه هى البداية ..

مجرّد البداية ..

وفى الأيام التالية رحت ألعب دور العاشق الولهان ، فأعود فى كل يوم إلى المنزل ، ومعى زهرة حمراء ، وشريط من شرائط أغنيات (عبد الحليم حافظ) ، وأظل طيلة الوقت استمع إلى الأغنيات فى هيام ، وأنا أرفع الزهرة إلى أنفى كل دقيقة ..

ورحت أسأل فى لهفة عن مواعيد زيارات (كوثر) ، وأحرص على استقبالها بكل أناقة ، بل على إحضار بعض الحلوى الأنيقة اللذيذة ، كلما حضرت لزيارتنا ..

وبعد أسبوع واحد ، ألقيت طعمًا جديدًا ، عندما خاطبت زوجتى باسم (كوثر) ، وأنا أتظاهر بالشرود ..

وبدأت زوجتى تضيق بزيارات (كوثر) ، بعد أن كانت تنتظرها فى لهفة ، فى حين ضاعفت أنا من تظاهرى باللهفة لتلك الزيارات ، ومن حفاوتى الزائدة بـ (كوثر) ، عند قدومها ..

ولأوّل مرة منذ حداثتهما ، بدأت بعض المشاحنات البسيطة تنشأ ، بين

(فاتن) و (كوثر) ، وفى كل مرة كنت أقف إلى جوار (كوثر) فى حماس ، حتى لم تعد زوجتى تطيق زيارات (كوثر) ، أو حتى سماع اسمها ..

ثم كانت المشاجرة الكبرى بينهما ..

وبعدها انقطعت (كوثر) عن زيارتنا تمامًا ..

وانقطعت المحادثات الهاتفية ..

ومنذ ذلك اليوم ، أصبحت (فاتن) تثور ، كلما سألتها عن (كوثر) ، وعن سر غيابها الطويل ..

وأدركت أننى قد توصّلت إلى ما أبتغيه ، باستخدام أقوى سلاح ضد المرأة ..

الغيرة ..

تلك الغيرة التى جعلت زوجتى تخسر صداقة عمر بأكمله ..

والتى جعلتنى أربح سعادتى وارتياحى فى منزلى ، دون تدخل منها .. من صديقتها .

* * *

فلنبدأ بالخيال (دراسة)

فى السادس عشر من يوليو ، عام ١٩٦٩م ، انطلق من قاعدة (كيب كيندى) الفضائية ، بالولايات المتحدة الأمريكية ، الصاروخ (ساتيرن - ٥) ، حاملًا (أبوللو - ١١) ، سفينة الفضاء الأمريكية ، التى اخترقت الغلاف الجوى الأرضى ، وعلى متنها الروّاد الثلاثة ، (نيل أرمسترونج) ، و (أدوين ألدرين) ، و (مايكل كولينز) ، فى طريقها إلى القمر ، وعبرت منطقة انعدام الوزن ، فى تلك النقطة التى تتعادل فيها جاذبية الأرض مع جاذبية القمر ؛ قبل أن تبلغ مدار القمر فى التاسع عشر من الشهر نفسه ، وتهبط مركبتها القمرية (النسر) ، على سطح القمر ، فى العشرين من يوليو ، ليطأ (نيل أرمسترونج) بقدمه أرض القمر ، كأوّل بشرى يفعل هذا ، فى التاريخ المعروف ..

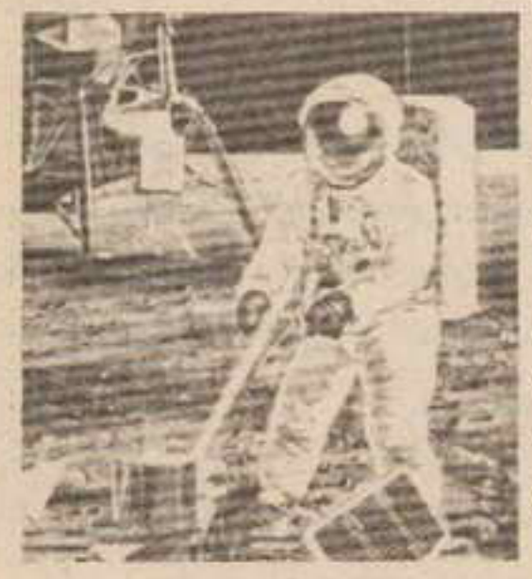

وفى ذلك اليوم بالذات ، وبينما كان الملايين يشاهدون لحظة وصول أوّل إنسان إلى القمر ، كان أحفاد (جولى فيرن) ، و (هربرت جورج ويلز) يبتسمون فى زهو وسعادة ، ويذكرون للجميع أن جدهما - (فيرن) أو (ويلز) - كان له الفضل الأوّل ، فى وضع فكرة السفر إلى القمر ، قبل أن تبرز الفكرة حتى فى عقول العلماء ..

وهذا صحيح ..

ففى عام ١٨٦٥م . وقبل أكثر من قرن كامل ، كتب الأديب الفرنسى الأشهر ، فى عالم أدب الخيال العلمى (جولى فيرن) (١٨٢٨ - ١٩٠٥م) ، رائعته (من الأرض إلى القمر) ، التى وصف فيها رحلة صاروخ ، ينطلق من الأرض ، فى طريقه إلى القمر ، وعلى متنه عدد من الروّاد ، وجاءت هذه التفاصيل مطابقة على نحو مذهل ، لنفس ماحدث بعد قرن كامل أو يزيد ، فى رحلة (أبوللو - ١١) ..

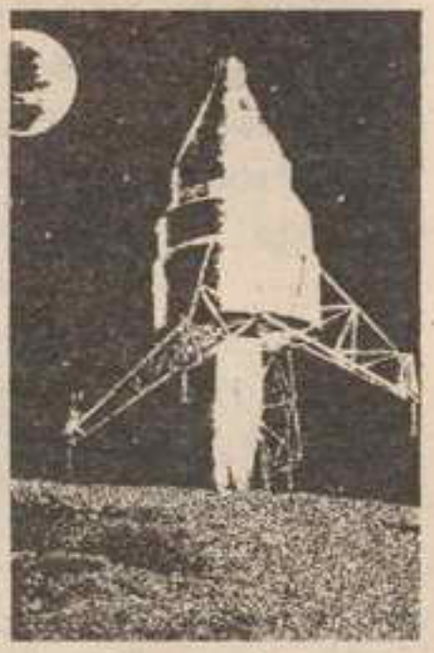

أما رائعة (هربرت جورج ويلز) (١٨٦٦ - ١٩٤٦م) ، والتى كتبها فى بدايات القرن العشرين ، (أوّل من وصل القمر) ، فقد كانت أوّل نبوءة أدبية ، حول اختراق الإنسان للغلاف الأرضى ، وتحطيمة للجاذبية الأرضية ، ووصوله إلى القمر ..

وهذه هى روعة أدب الخيال العلمى ..

وهذا النوع من الأدب ليس قديمًا ، كغيره من صنوف الأدب ، كالمسرحية والرواية والشعر ، وغيرها ، إذ لم يكن من الممكن أن ينشأ هذا الأدب ، قبل أن تنطلق الثورة الصناعية والعلمية ، التى بدأت مع بدايات القرن التاسع عشر ، وراحت تتطوّر فى سرعة مدهشة ، لينبت معها ذلك الأدب الجديد ، الذى يمزج مابين جمال الأدب والانبهار بالعلوم والصناعات الحديثة ..

وكان (جولى فيرن) هو أوّل من اقتحم هذا المجال ، بعد أن حقّق نجاحًا معقولًا ، فى مجال أدب المغامرات ، بروايته (٥ أسابيع فى منطاد) ، مما شجّعه ، وشجّع ناشره ، على إصدار روايات الخيال العلمى ، التى لم تكن

مألوفة حينذاك ، مثل (عشرون ألف فرسخ تحت الماء) ، التى طوّر خلالها (فيرن) بخياله تلك الغوّاصة ، التى ابتكرها الانجليزى (ك.ى.دريبل) ، عام ١٦٢٠م ، ليضيف إليها ـ فى روايته ـ كاشف الأعماق (السونار) ، والقدرة على بلوغ القطب الشمالى ، فى حين لم يكن التفكير فى هذا قد راود حتى عقل أكثر العلماء تفاؤلًا ، ولكن (السونار) تم اختراعه بالفعل ، قبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٧م) ، فى حين لم تنجح الغواصات فى بلوغ القطب الشمالى ، كما فعلت غواصة رواية (فيرن) ، قبل تزويدها بالطاقة الذرية ، عام ١٩٥٣م ..

وبعدها وضع (فيرن) عددًا من أروع روايات الخيال العلمى ، مثل (سيّد العالم) ، (الجزيرة الغامضة) ، (من الأرض إلى القمر) ، وغيرها ، مما استحق معه أن يحصل على لقب (أبو الخيال العلمى) ، الذى مازالت الموسوعات العالمية تلقّبه به حتى الآن ..

ومن (فرنسا) ، تسلّل أدب الخيال العلمى إلى (أوروبا) ، وبالذات إلى (انجلترا) ، حيث انتقل معه فن كتابة أدب الخيال العلمى ، من الانبهار بالآليات الحديثة ، إلى مرحلة الفلسفة العلمية ، إذ تميّزت روايات (ويلز) بالنظرة الفلسفية للأمور ، والدراسة الحذرة لنتائج التطورات العلمية فى المستقبل ، ويتضح هذا ، أكثر مايتضح ، فى روايته (آلة الزمن) ، حيث سافر بطلها إلى المستقبل البعيد ، ليجد العالم وقد أنقسم إلى طبقتين رئيسيتين .. طبقة العمال الكادحة ، التى صارت أكثر قوة وخشونة ، وطبقة المرفهين الناعمين ، الذين أصبحوا مجرّد غذاء ناعم ولذيذ للطبقة الكادحة ..وكذلك تتضح فلسفاته العميقة ، فى رواياته (أوّل من وصل إلى القمر) ، و (حرب العوالم) .. وغيرها ..

ومع انتشار هذا الأدب ، ظهرت أنماط أخرى من الرواية الخيالية ، مثل روايات (دراكيولا) ، التى ابتكرها (برام ستوكر) ، مدير أحد المسارح ، حول شخصية أقرب إلى الموتى ، منها إلى الأحياء ، وتحيا على امتصاص

دماء الآخرين ، وتحويلهم بدورهم إلى مصاصى دماء ..

وعادت دور النشر تطبع رواية الشاعرة (مارى شيلى) (فرانكنشتاين) ، التى وضعتها عام ١٨١٧م ، حول طبيب يصنع مسخًا هائلًا من أجساد الموتى ، ثم يعيده إلى الحياة !! ..

ولكن هذه الروايات لم ترق أبدًا إلى مستوى روايات الخيال العلمى ، التى راحت تتهمر كالمطر ، على السوق الأدبى الأوروبى والأمريكى ، في روايات بلغت بدورها شهرة واسعة ، مثل (دكتور جيكل ومستر هايد) ، للأديب (روبرت لويس ستيفنسن) ، و (صورة دوريان جراى) ، لـ (أوسكار وايلد) ، وحتى (آرثر كونان دويل) ، مبتكر شخصية (شيرلوك هولمز) الشهيرة ، كانت له أعمال عظيمة فى هذا المجال ، مثل (العالم المفقود) و (النطاق السام) ، وغيرها ، ولكنها لم تلق نفس النجاح الذى لقيته شخصية (هولمز)

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية ، بدأت ظاهرة جديدة تجذب انتباه الناس ، ألا وهى ظاهرة تلك الأجسام الطائرة المجهولة ، التى اصطلح الصحفيون على إطلاق اسم (الأطباق الطائرة) عليها ..

وبغضّ النظر عن الحقيقة والخيال ، فى موضوع الأطباق الطائرة هذا ، فقد أطلق مخيلة الأدباء والعامة ، نحو الفضاء والخيال والغموض ، وساعدت النهضة العلمية ، التى لحقت الحرب العالمية الثانية على نمو هذا الخيال ، وعلى تنشيط وإنعاش أدب الخيال العلمى مرة ثانية ..

وفى عالمنا العربى ، برز أدب الخيال العلمى على أيدى الأدباء

المصريين ، مثل الدكتور (مصطفى محمود) ، والسكندرى العالم الدكتور (يوسف عز الدين عيسى) ، والأستاذ (نهاد شريف) ، و (رءوف وصفى) ، وغيرهم ..

وفى إحصائية حديثة نجد أن أدب الخيال العلمى يحتل ٥٦٪ من قراءات الأوروبيين ، و٦٧٪ من قراءات الأمريكيين ، و٤١٪ من قراءات السوفيت ، الذين يحظون بعدد من أعظم أدباء الخيال العلمى فى العالم ، مثل (اسحق عظيموف) ، فى حين لم يحتل أدب الخيال العلمى سوى ٩,٥٪ من قراءات العرب للأسف ، وهذا يعود إلى قلة عدد الكتاب ، فى هذا المجال ، وقلة عدد الناشرين ، الذين يمكنهم المغامرة بإنتاجه ..

أما بالنسبة للسينما ، فقد بلغت أفلام الخيال العلمى مرتبة ، لم تبلغها من قبل قط ، وعلى الرغم من أن تكلفة إنتاج مثل هذه النوعية من الأفلام ، يبلغ عدة مئات من الملايين ، إلا أنها تحقق لمنتجيها أرباحًا خيالية ، تؤكد إقبال المشاهدين عليها ، وانطلاقهم معها فى عالم الخيال ، ولقد بدا هذا واضحًا فى (حرب الكواكب) بأجزائه الثلاثة ، و (E.T) ، و (العودة إلى المستقبل) ، و (الاتصال الأخير) ، وغيرها ..

وفى السنوات الأخيرة ، انتقل عالمنا العربى إلى عصر العلم والتكنولوجيا ، وأصبحت الشركات الكبرى تتنافس على تعريب أجهزة الكمبيوتر ، لتغطية الاحتياجات المتزايدة للتقدم ، فى هذه السوق الجيدة ، فهل سيأتى يوم يتبوأ فيه أدب الخيال العلمى مكانته وسط القرّاء والنقّاد ؟ .. وهل سنرى يومًا أفلامًا للخيال العلمى ، تنافس (حرب النجوم) و (درب النجوم) ، وغيرها ؟

هل يظهر بيننا (جولى فيرن) عربى ؟

لا يوجد جواب لهذا سوى أن الزمن وحده قد يدفعنا إلى هذا ، كتطوّر طبيعى للعقول والأفكار ، فكما قال أبو الخيال العلمى (جولى فيرن) : الطريق إلى التقدّم يبدأ دائمًا بالخيال ..

فلنبدأ إذن طريق التقدّم ..

فلنبدأ بالخيال ..

الخيال العلمى .

د. نبيل فاروق

١ ـ ألف قصة ..

لم تكد طائرة (مصر للطيران) تقلع من مطار (هيثرو) بـ (لندن)، فى طريقها إلى (القاهرة)، حتى تنفست (صفاء) الصعداء، وراحت تقطع ممر الطائرة الطويل، وهى ترسم على شفتيها ابتسامة تقليدية هادئة، لسائلة ركّاب الطائرة عما يطلبونه، قبل أن تذهب إلى مطبخ الطائرة، لإعداد مشروبات الرحلة ..

كانت تلقى أسئلتها على نحو تقليدى، اعتادته فى كل رحلة، وإن شعرت فى ذلك اليوم بضجر شديد، وهى تمارس عملها المعتاد، الذى لم يتغيّر كثيرًا، طوال عامين قضتهما فى الوظيفة نفسها، حتى لم تعد تحتمل الاستمرار ..

ثم فجأة التقت عيناها بعينيه ..

بل بابتسامته الساحرة ..

كانت تنحنى لتلقى عليه سؤالها المعتاد، عندما تعلّقت عيناها فجأة بأجمل ابتسامة رأتها، طوال سنوات عملها ..

وعندما رفعت عينيها إليه، كشفت أن ابتسامته ليست سوى النذر اليسير، من وسامته المفرطة، وأناقته الشديدة ..

وطوال ربع دقيقة، لم تنبس (صفاء) ببنت شفة، وهى تتطلّع إليه فى انبهار، عندما سألها فى مرح واضح:

ـ ألن تلقى علىّ سؤالك الشهير ؟

ايقظتها عبارته من ابنهارها، فارتبكت وهى تقول:

ـ معذرة .. هل ترغب فى ..

قاطعها بنفس المرح:

ـ قدح من الشاى، بقليل من السكر، ودون حلوى.

لاحظ ارتباكها الشديد، فأطلق ضحكة قصيرة، وهو يقول:

ـ إننى أقدّر ضجرك من هذا العمل.

قالت بسرعة:

ـ لم أقصد أن ..

قاطعها بإشارة من يده، وهو يميل نحوها، ويغمز بعينه، هامسًا:

ـ إننى أفهم، فنحن أصحاب مهنة واحدة.

اعتدلت هاتفة فى دهشة:

ـ حقًا ؟!

ابتسم وهو يلوّح بكفه، قائلًا:

ـ إلى حد كبير، فأنا أمتلك مطعمًا صغيرًا فى (الإسكندرية).

بادلته الابتسام، وهى تقول:

ـ إنها مهنة متشابهة بالفعل، ولكن عملنا هنا يمتدّ إلى محاولة منح كل وسائل الراحة والطمأنينة للركّاب.

أومأ برأسه، وهو يبتسم قائلًا فى تفهّم:

ـ يمكننى إدراك هذا جيدًا.

اكتفت بهذا القدر من محادثته، وواصلت عملها، الذى لم يستغرق طويلًا هذه المرة، نظرًا لقلة الركّاب فى هذه الرحلة، حتى بلغت مطبخ الطائرة، وهناك استقبلتها زميلتها (سميرة) بابتسامة واسعة، وهى تغمز بعينيها، قائلة:

ـ هنيئًا لك.

سألتها فى دهشة :

ـ على ماذا ؟

مالت (سميرة) نحوها ، وهمست :

ـ لقد رأيتك تتحدثين مع هذا الشاب .

قالت (صفاء) فى ضيق :

ـ بل كان هو يتحدث إلىّ ، وهى ليست أوّل مرة يحادثنى فيها أحد ركّاب ألطانرة ، فقد اعتدنا هذا .

قالت (سميرة) بابتسامة مرحة :

ـ ولكن هذا أكثرهم وسامة .

هزّت (صفاء) كتفيها ، دون أن تبدى اهتمامًا بالأمر ، وحاولت الانهماك فى إعداد المشروبات ، التى طلبها الركّاب ، ولكن (سميرة) سألتها فى اهتمام :

ـ ماذا كان يقول لك ؟

أجابتها وهى تواصل عملها :

ـ كان يخبرنى أننا أبناء مهنة متشابهة ، وأنه يمتلك مطعمًا فى (الإسكندرية) .

عادت (سميرة) تغمز بعينيها ، قائلة :

ـ إذن فهو ثرى .

هتفت (صفاء) :

ـ هذا لا يعنينى .

ضحكت (سميرة) ، وهى تلوّح بكفها ، قائلة :

ـ حسنًا ..حسنًا ..لا داعى لكل هذا الغضب .. هيا .. سأعتذر عن

فضولى بأسلوب عملى ، وسأقدم أنا المشروبات للركّاب .

لم تكن (صفاء) ترغب فى هذا حقًا ، ولكنها خشيت أنْ تتصوّر (سميرة) أنها تريد التحدّث إلى ذلك الوسيم ثانية ، فقالت :

ـ لا بأس .. افعلى .. إننى أحتاج بالفعل إلى شىء من الراحة .

جلست على أحد مقاعد المطبخ الصغير ، وتركت زميلتها تدفع عربة المشروبات إلى الممر ، وهى تشعر بشىء من الضيق ..

وفى أعماقها ، اعترفت بأنها كانت ترغب حقًا فى الحديث مرة أخرى مع ذلك الشاب ..

لم تدر أكان هذا بسبب وسامته المتناهية ، التى لم تشاهد مثيلًا لها من قبل ، إلا على شاشات السينما ، أم بسبب مرحه وخفة ظله ..

ظلّت تلقى على نفسها هذا السؤال ، حتى عادت (سميرة) ، واللهفة تملأ كل خلجة من خلجاتها ، وأسرعت تغلق الباب خلفها ، على نحو يوحى بأنها على وشك إلقاء سر ما ، مما جعل (صفاء) تسألها :

ـ ماذا هناك ؟

التفتت (سميرة) إليها ، هاتفة :

ـ إنه وسيم للغاية بالفعل .

شعرت بالضيق لعبارة زميلتها ، واعترفت لنفسها أنها تشعر بشىء من الغيرة ، إلا أن (سميرة) استطردت فى سرعة :

ـ ولقد سألنى عنك .

وجدت نفسها تهتف فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

شعرت بالخجل للهفتها ، ولكن (سميرة) واصلت ، دون أن يبدو عليها الانتباه لهذا :

ـ كنت أقدم له قدح الشاى ، عندما سألنى عنك ، وعن سبب عدم تقديمك الشاى له بنفسك .

سألتها (صفاء) :

ـ وبم أجبتيه ؟

لوحت (سميرة) بكفها ، وقالت ضاحكة :

ـ أخبرته أنك تشعرين ببعض التعب ، وليتك رأيت جزعه حينذاك .

شعرت بالسعادة فى أعماقها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة كبيرة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين تابعت (سميرة) مبتسمة :

ـ أراد رؤيتك ، والاطمئنان عليك ، ولكننى أخبرته أنها مجرد وعكة بسيطة ، ستتعافين منها سريعًا ، فأرسل تحياته إليك .

ثم مالت نحوها ، مستطردة فى خبث :

ـ أيسعدك هذا ؟

ضربتها (صفاء) على ظهرها فى رفق ، وهى تقول فى حياء :

ـ يالك من فضولية !

أطلقت (سميرة) ضحكة مرحة ، ثم قالت :

ـ وإنه وسيم بالفعل ، ولكنه يمتلك أسوأ صفة فى البشر .

سألتها (صفاء) فى قلق :

ـ ما هى ؟

أجابتها (سميرة) :

ـ الكذب .. إنه كذاب كبير .

لم يرق لـ (صفاء) أن تصف (سميرة) ذلك الوسيم بهذه الصفة ، فقالت فى ضيق :

ـ لم قلت هذا ؟

أجابتها (سميرة) :

ـ لأنه كذلك بالفعل .. لقد أخبرك أنه يمتلك مطعمًا فى (الإسكندرية) ، ولكننى سمعته يقول لجاره بالانجليزية إنه تاجر تحف فى وسط (القاهرة) .

هتفت (صفاء) فى دهشة :

ـ تاجر تحف .

أشارت (سميرة) إلى أذنها ، قائلة :

ـ سمعته يقول هذا بنفسى .

تردّدت (صفاء) ، وهى تقول :

ـ ربما كان يقصد شخصًا آخر .

أجابتها (سميرة) فى إصرار :

ـ بل كان يقصد نفسه .. لقد سمعت الحديث جيدًا .

شعرت (صفاء) بالحيرة ، وتساءلت عن السبب فى هذا التعارض ، ثم لم تلبث أن هتفت فى ارتياح وثقة :

ـ نعم .. وماذا فى هذا ؟.. لقد قال : إنه يمتلك مطعمًا فى (الإسكندرية) ، ولم يقل : إنه يعمل فيه .. إنه يمتلك المطعم ، ولكنه يعمل كتاجر تحف فى (القاهرة) .. لا يوجد أى تعارض بين هذا وذاك .

هزت (سميرة) كتفيها ، وهى تقول :

ـ ربما .

ثم لم تلبث أن نسيت أمر ذلك الوسيم تمامًا ، وانهمكت فى الحديث حول أمور أخرى ، تخصّ زميلاتها ، والعمل بالشركة على نحو عام ، ولكن (صفاء) لم تنجح فى الاندماج معها هذه المرة ، إذ كان ذهنها مشغولًا طيلة الوقت بذلك الشاب ، الذى تجهل عنه حتى اسمه ..

لم تدر لماذا انشغلت به إلى هذا الحد ؟ ..

إنها تعمل فى الشركة منذ عامين ، التقت خلالهما بالمئات من المسافرين ، وبعشرات من نجوم السينما والشخصيات المرموقة ، وكانت تؤدى عملها دائمًا فى رصانة وهدوء ، وترسم ابتسامتها العذبة على شفتيها ، دون أن تبهرها شخصية المسافر ، أو يروعها منصبه ..

لماذا اهتمت بهذا الشاب إذن ؟ ..

شىء ما فى أعماقها كان يجيبها بأن هذا الشاب يختلف ..

حتمًا يختلف ..

إنها لا تدرى سر هذا الاختلاف ، ولكنها واثقة من أن وسامته ليست السبب الحقيقى ، وإن كانت تفوق وسامة كل من رأتهم من قبل ، ولكنها ليست بتلك السطحية ، التى تجعل وسامة شاب هى السبب فى اهتمامها به ، من دون شخصيته وأسلوبه ..

هناك شىء ما يجذبها إليه بالتأكيد ..

شعرت فجأة برغبة قوية فى رؤيته ، فلم تحاول مقاومة هذه الرغبة ، ونهضت قائلة :

ـ سأذهب لاستعادة الأكواب الفارغة .

ضحكت (سميرة) فى خبث ، وهى تقول :

ـ أهذا هو السبب الحقيقى ؟

لم تبال كثيرًا بسخرية (سميرة) هذه المرة ، واكتفت بهزّ كتفيها فى لامبالاة ، وهى تخرج إلى الممر ، دافعة أمامها العربة الفارغة ..

ثم التقى حاجباها فى توتر ..

لم يكن الشاب يجلس فى مقعده ..

لقد غادر مكانه ، وانتقل للجلوس إلى جوار حسناء بريطانية ، تحمل حقيبة أدوات التصوير الخاصة بها ، وأخذ يناقشها فى حماس ، بشأن أدوات التصوير ، وهو يحمل آلة التصوير التى تملكها الفتاة ، ويثبت بها عدسة طويلة ، متغيّرة البعد ..

وشعرت (صفاء) بالضيق ..

بل بالغيرة ..

لقد اعترفت لنفسها هذه المرة أنها تشعر بالغيرة ، وهى تراه جالسًا إلى جوار تلك الحسناء البريطانية ، التى تتطلّع إليه فى انبهار واضح ، وتبتسم فى سعادة غامرة ..

كان من الواضح أن وسامته ومرحه قد جذبا الحسناء البريطانية أيضًا ، وإن بدا من الواضح أن اهتمامه بآلة التصوير يفوق اهتمامه بها ، وهو يضع الآلة على عينيه ، ويتطلّع بالعدسة الكبيرة فى اهتمام بالغ إلى رجل قوى الملامح ، عريض المنكبين ، كث الحاجبين ، يجلس عند نهاية الممر ، مسترخيًا فى مقعده ..

وانتقل بصر (صفاء) ، على نحو غريزى ، إلى ذلك الرجل ، الذى يراقبه الشاب بعدسة آلة التصوير المقرّبة ، وأدهشها ذلك التناقض الشديد ، بين الشاب والرجل ، فبقدر وسامة الأوّل ، كان الثانى غليظ الملامح ، صارم القسمات ، وكان يبدو مستغرقًا فى نوم عميق ، غير منتبه إلى مراقبة الشاب له ..

وفى حيرة سألت نفسها عن سر تلك المراقبة ، إلا أنها لم تلبث أن أقنعت نفسها بأن الشاب إنما يختبر العدسة ، وأيّد قولها موقفه ، عندما رفع عينيه عن آلة التصوير ، وأعادها إلى البريطانية ، قائلًا بالإنجليزية :

ـ عدسة رائعة ، والتغيّر بين بعديها مناسب للغاية ، ولكن حدقتها المتوسطة الاتساع تجعلها أكثر صلاحية للهواة ، منها إلى المحترفين .

سألته البريطانية بابتسامة واسعة :

ـ يبدو أنك تفهم الكثير عن العدسات .. أليس كذلك ؟

أجابها فى ثقة شديدة :

ـ بلى .. إنها مهنتى .

سمعت (صفاء) البريطانية تسأله فى اهتمام :

ـ مهنتك ؟! .. أأنت مهندس بصريات ؟

أجابها بلا تردّد :

ـ بل مصوّر .. مصوّر محترف .

جاء الجواب بمثابة صدمة لـ (صفاء) ، التى أدركت ـ فى تلك اللحظة ـ أن (سميرة) كانت على حق ..

هذا الشاب كذّاب ..

كذّاب كبير ..

واصلت طريقها وهى تشعر بالضيق ، لأن الشاب لم يرق بوسامته إلى ذلك المستوى ، الذى لا تقبل هى أقل منه ، فى الشاب الذى تقبل الارتباط به ، ولكنها لم تكد تعبر بالقرب منه ، حتى هتف بها :

ـ (صفاء) .. كيف حالك الآن ؟

لاحظت ضيق البريطانية ، وهو ينهض لتحيتها فى حرارة ، وأسعدها أن تجاهل هو هذا الضيق تمامًا ، بل تجاهل البريطانية نفسها ، وهو يتبع (صفاء) إلى حيث مقعده ، مستطردًا :

ـ لقد قلقت بشأنك كثيرًا ، عندما أخبرتنى زميلتك بوعكتك .

غمغمت فى ارتياح :

ـ كانت وعكة بسيطة ، ولقد انتهت بحمد الله .

قال فى حماس :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

استقرّ فى مقعده ، وواصلت هى عملها ، وقلبها يختلج فى سعادة ..

لقد ترك البريطانية من أجلها ..

ترك كل شىء عندما رآها ..

أثلج هذا قلبها كثيرًا ، وشعرت بسعادة غامرة ، وهى تواصل جمع الأقداح الفارغة ، ثم قفلت عائدة بحملها ، والتقت عيناها بابتسامته الساحرة مرة أخرى ، فى طريق عودتها ، فارتبكت ، وتخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وتجاوزته فى سرعة ، ولم تكد تبلغ المطبخ ، حتى سألتها (سميرة) فى فضول :

ـ ماذا قال لك ؟

أجابتها (صفاء) ، وهى تتحاشى النظر إليها :

ـ لم يقل شيئًا .. سألنى فقط عن تلك الوعكة الكاذبة .

ضحكت (سميرة) ، قائلة :

ـ ألم تشعرى بالامتنان لكذبتى عندئذ ؟

لم تجب (صفاء) ، وإن شعرت أن قول (سميرة) سليم تمامًا ، فقد شعرت بالامتنان لها ولكذبتها بالفعل ، عندما شاهدت تلك اللهفة الواضحة ، فى عينى الشاب ..

لقد أسعدتها لهفته عليها سعادة غامرة ..

أسعدتها بأكثر مما تصوّرت ..

وفى حماس قالت (سميرة) :

ـ لقد وقع فى هواك .. فلتقطع ذراعى ، لو لم يكن الأمر كذلك .

أرادت أن تهتف مؤيدة قولها ، ولكن خجلها جعلها تشيح بوجهها ، قائلة :

ـ أنت تبالغين كثيرًا .

هتفت (سميرة) :

ـ هل تراهنين ؟

ثم فتحت باب المطبخ قليلًا ، وهى تردف فى حماس :

ـ أراهن أنه ينتظر قدومك .

ألقت نظرة فضولية ، عبر فرجة الباب ، ثم غمغمت فى قلق :

ـ ما هذا بالضبط ؟

انتقل قلقها إلى (صفاء) ، وهى تقول :

ما هو هذا ؟

مالت بدورها تختلس النظر إلى الممر ، عبر فرجة الباب ، ثم لم تلبث أن شعرت بالدهشة الحقيقية تسرى فى عروقها ..

لم يكن الشاب ينتظر عودتها ، كما تصوّرت (سميرة) ، ولكن ذلك الرجل الغليظ الملامح ، الذى يجلس فى نهاية الممر ، كان قد تخلّى عن تظاهره بالنوم ، وراح يراقب الشاب خلسة ، فى اهتمام بالغ ..

وفى جانب سترة الرجل ، رأت (صفاء) شيئًا جعلها ترتجف ..

رأت مقبضًا ..

مقبض مسدس .

* * *

٢ ـ الخطر ..

، مسدس ؟! .. ،

هتف قائد الطائرة بالكلمة فى دهشة ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ مستحيل يا (صفاء) ! .. أنت تعلمين أنهم يفحصون هذا جيدًا ، عند ركوب الطائرة ، فكل راكب يمرّ عبر بوّابة خاصة ، ينطلق منها جرس إنذار قوى ، لو أن هذا الراكب يحمل أية أسلحة ، أو حتى مواد معدنية أخرى .

أجابته (صفاء) ، فى توتر مماثل :

ـ أعلم هذا ، ولكننى رأيت مقبض مسدس ، خلف سترة ذلك الراكب .

تبادل قائد الطائرة نظرة قلقة مع مساعديه ، ثم سألها :

ـ هل أبلغت (عبد الحميد) ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ لا .. لقد فضّلت إبلاغك أوّلًا ، قبل إبلاغ مسئول الأمن .

قال فى حزم :

ـ أبلغى مسئول الأمن إذن .. أبلغى (عبد الحميد) .

أجابته فى توتر :

ـ فليكن .

غادرت كابينة القيادة ، وعبرت ممر الركّاب ، متجاوزه ذلك الراكب المنشود ، وهتف بها الوسيم فى مرح :

ـ كيف حالك يا (صفاء) ؟ .. أيسير كل شىء على مايرام ؟

أجابته مبتسمة فى شحوب :

ـ نعم .. شكرًا لك .

واتجهت إلى آخر مقعد فى الممر ، حيث يجلس رجل ضخم الجثة ، وهمست له فى ارتباك :

ـ هناك راكب يحمل مسدسًا يا أستاذ (عبد الحميد) .

انعقد حاجبا الرجل ، وانقبضت عضلاته كلها ، وهو يقول :

ـ مسدس ؟! .. وأين هذا الراكب ؟

أشارت إلى الرجل ، فنهض (عبد الحميد) من مقعده ، واتجه إليه على الفور ، وانحنى يتحدّث إليه بضع لحظات ، نهض بعدها الرجل ، وتبع (عبد الحميد) إلى حجرة صغيرة فى نهاية الطائرة ، أغلقها (عبد الحميد) خلفهما ، و (صفاء) تتابعهما فى توتر ، حتى سمعت الوسيم يهتف بها :

ـ آنسة (صفاء) .. لحظة لو سمحت .

ذهبت إلى حيث يجلس ، وسألته :

ـ ماذا تطلب يا أستاذ ..

أجابها فى سرعة :

ـ (حاتم) .. (حاتم بكرى) .. أخبرينى .. ماذا وراء ذلك الرجل ؟

لم تشأ إثارة الذعر داخل الطائرة ، فقالت :

ـ إنه مجرّد إجراء أمنى بسيط .

سألها فى اهتمام شديد :

ـ بسبب ماذا ؟

وجدت نفسها تسأله فجأة :

ـ إنك تعرف هذا الرجل .. أليس كذلك ؟

لم تكد تنطق الجملة حتى شعرت بالندم ، وتمنت لو أنها لم تشر أبدًا

إلى هذا الأمر ، ولكن سبق السيف العزل .. لقد تلقى (حاتم) الجملة فى دهشة ، وهتف :

ـ أعرفه ؟! .. من أعطاك هذه الفكرة ؟

ارتبكت وهى تجيب :

ـ لم أقصد هذا بالضبط ، ولكننى رأيته يراقبك فى اهتمام ، وتصوّرت أنكما ..

قاطعها هاتفًا :

ـ يراقبنى ؟!

مرة أخرى تمنّت لو أنها لم تنطق بالعبارة ، وقرّرت فى أعماق نفسها كتمان ملاحظتها ، عن مراقبته هو للرجل ، ولكنه سألها فى اهتمام أكثر :

ـ ولماذا يراقبنى ؟

أجابته فى اضطراب :

ـ لست أدرى .. لقد أبلغت الأمن فحسب .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ظهر (عبد الحميد) ، وأمامه الرجل ، وتجاوز الرجل (صفاء) و (حاتم) فى هدوء ، دون أن تبدو عليه أية بادرة ، تشير إلى معرفته للأخير ، فى حين قال (عبد الحميد) لـ (صفاء) فى صوت عادى :

ـ إنه غير مسلّح .

هتفت فى دهشة :

ـ ولكننى ..

بترت كلمتها على الفور ، دون أن تضيف حرفًا واحد ، وأدهشها أن يخبرها (عبد الحميد) بمثل هذا الأمر أمام (حاتم) ، مخالفًا قواعد الأمن بالشركة ، فى حين قال (حاتم) فى اهتمام بلغ ذروته :

ـ غير مسلّح ؟!

لوّح (عبد الحميد) بكفه ، وهو يمطّ شفتيه فى لامبالاة ، قائلًا :

ـ لا تشغل نفسك بهذا الأمر يا سيّدى .. لقد فحصته بنفسى ، وقمت بتفتيشه على أكمل وجه .. اطمئن .

تضاعفت دهشة (صفاء) ، وقرّرت أن تبلغ إدارة الأمن عن هذه التجاوزات الصريحة ، عند هبوط الطائرة فى (القاهرة) ، فى حين عاد (عبد الحميد) إلى مقعده فى هدوء ، وبدا (حاتم) قلقًا ، إلى الحد الذى جعلها تقول فى خفوت :

ـ قال لك : اطمئن .

رفع عينيه إليها لحظة ، ثم قال فى جدية شديدة :

ـ أيمكننى التحدّث إليك لحظة ؟

قالت فى حذر :

ـ قل ما يحلو لك .

أجاب فى صرامة :

ـ وحدنا .

ارتبكت فى شدة ، وتلفتت حولها فى قلق ، فكررُ فى حزم :

ـ من الضرورى أن أفعل .

تطلّعت إليه لحظة فى حيرة ، ثم قالت :

ـ فليكن .

نهض يتبعها إلى حجرة الأمن ، فى نهاية الطائرة ، ولم يكد يغلق بابها خلفهما ، حتى واجهها بجدية بالغة ، وهو يقول :

ـ كنت على حق يا (صفاء) .. هذا الرجل يعرفنى .

لم تتبس ببنت شفة ، حتى استطرد :

ـ بل ويمكنك القول إنه هنا من أجلى .

أطلقت شهقة دهشة ، قبل أن تهتف فى خفوت :

ـ من أجلك أنت ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا (صفاء) .. هذا الرجل لص محترف ، وأنا تاجر مجوهرات معروف ، وأحمل فى حقيبتى الصغيرة عددًا من قطع الماس ، يبلغ ثمنها مليون دولار على الأقل ، وأنا واثق أنه هنا لسرقتها .

تطلّعت إليه لحظة فى دهشة بالغة ، ثم هتفت فجأة :

ـ أظن هذا يكفى .

سألها فى دهشة :

ـ ماهذا ؟

صاحت فى عصبية :

ـ أنت كذّاب .. أكبر كذّاب عرفته فى حياتى كلها .. لقد أخبرتنى أوّلًا أنك تمتلك مطعمًا فى (الإسكندرية) ، ثم سمعتك (سميرة) تقول لجارك أنك تاجر تحف فى (القاهرة) ، وسمعتك أنا تدّعى أمام البريطانية الحسناء أنك مصوّر محترف ، والآن تخبرنى أنك تاجر مجوهرات .. ماذا تنوى أن تمتهن بعد قليل ؟ .. هل ستصبح شيخًا من (الأزهر الشريف) ، أم كاردينالًا من (روما) .

قال فى توتر :

ـ (صفاء) صدقينى .. إننى ..

قاطعته فى حدة :

ـ لا .. لن أصدّقك .

ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تضيف :

ـ إلا إذا ..

سألها فى لهفة :

ـ إلا إذا ماذا ؟

أجابته فى حزم :

ـ إلا إذا رأيت تلك الماسات المزعومة .

بدت الدهشة على وجهه ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ (صفاء) .. إنكِ بهذا الموقف ..

قاطعته مرة أخرى فى صرامة :

ـ الماسات أوّلًا .

كان من الواضح أنها لن تتراجع أبدًا عن اصرارها ، مما جعله يطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ، ثم يلقى ذراعيه إلى جواره ، قائلًا :

حسنًا يا (صفاء) .. سأعترف .. لا توجد أية ماسات .

أصابها الجواب بصدمة ، على الرغم من أنها كانت تتوقعه إلى حد كبير ، فمطّت شفتيها ، هاتفة فى غضب :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنك أكبر كذّاب فى الدنيا ، وأنه لا توجد أية ماسات .

قال محتجًا :

ـ هذا لا يعنى أننى شخص سيئ .

هتفت فى سخط :

ـ ما الذى يعنيه إذن ؟

قال فى توتر بالغ :

ـ أرجوك يا (صفاء) .. صدقينى .. هناك بعض المهن ، التى يتحتم على صاحبها أن ينتحل بعض الشخصيات الأخرى ، ولكن هذا لا يعنى أبدًا أنه شخص سيئ .

هتفت :

ـ بعض المهن ؟! .. هل ستنتحل مهنة أخرى ؟

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ لا يا (صفاء) .. لن انتحل مهنة أخرى ، ولكننى سأخبرك عن مهنتى الحقيقية ، على الرغم من أنه ليس من المفروض أن أفعل .

قالت فى حنق :

ـ ومامهنتك الحقيقية ؟ .. نصّاب ؟

أجابها فى صرامة :

ـ بل ضابط يا (صفاء) .. ضابط مخابرات .

حدّقت فى وجهه بذهول ، وهى تردّد :

ـ أنت ؟! .. أنت ضابط مخابرات ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا (صفاء) .. هذه هى الحقيقة ، وأقسم على هذا .. أنا المقدّم (أشرف صادق) ، من المخابرات العامة المصرية ، أما ذلك الرجل ، فهو جاسوس دولى رهيب ، وأنا أراقبه منذ شهر كامل ، ولكن يبدو أنه قد أدرك هذا ، وكشف حقيقة شخصيتى ، وهذا يعنى أن رجاله ينتظرون الآن فى مطار (القاهرة) ، وسيطلقون النار علىّ ، فور خروجى من المطار .

هتفت فى ارتياع :

ـ يا إلهى !

تابع فى حزم :

ـ ولا يمكننى إلقاء القبض عليه داخل الطائرة ، خشية أن يكون لديه شريك ، يمكن أن يؤذى الركّاب ، لو حاولنا إلقاء القبض على الجاسوس .

سألته فى خوف :

ـ ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

قال فى صرامة :

ـ لا يوجد سوى حلّ واحد .

سألته فى هلع :

ـ ما هو ؟

أجاب وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة :

ـ تأخير هبوط الطائرة فى مطار (القاهرة) .

اتسعت عيناها فى دهشة ، قبل أن تقول :

ـ ولكن هذا مستحيل .. هناك جدول للمواعيد ، و ..

قاطعها فى حزم :

لا يوجد حل آخر .

صمتت لحظات فى توتر بالغ ، ثم قالت :

ـ على أية حال ، لست أملك تنفيذ ، أو حتى مناقشة هذا الأمر .. كل ما أملكه هو أن أصحبك إلى كابينة القيادة ، لتقابل قائد الطائرة ، وهو وحده يمكنه اتخاذ قرار فى هذا الشأن .

قرنت قولها بالفعل ، وصحبته إلى كابينة القيادة ، حيث استمع إليه قائد الطائرة فى دهشة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ مستحيل ! .. لا يمكننا هذا أبدًا .

أجابه (أشرف) :

ـ ولكن حياتى تتوقف على هذا الأمر أيها القائد ، و ..

قاطعه قائد الطائرة فى صرامة تامة :

ـ مستحيل .. قلت لك مستحيل ، ولن أناقش هذا الأمر قط .

فركت (صفاء) كفيها فى عصبية ، وهى تتساءل عما يمكن أن يفعله (أشرف) ، حيال هذا الرفض ، الذى يعرّض حياته ومهمته للقلق ..

ولكن (أشرف) أجاب تساؤلاتها فى سرعة ..

أجاب بأغرب جواب يمكن أن تتوقعه ..

لقد قال لقائد الطائرة فى هدوء شديد :

ـ إنك لم تترك لى الخيار إذن .

وبحركة سريعة ، انتزع من طيات ثيابه مسدسًا ، صوّبه إلى قائد الطائرة ، مستطردًا فى صرامة مخيفة :

ـ ولم يعد أمامى سوى هذا .

وارتجفت (صفاء) فى ذعر ..

* * *

٣ ـ الجاسوس ..

اتسعت عينا (صفاء) فى ذعر ، وهى تحدّق فى المسدس ، الذى يمسك به (أشرف) ، وهتفت فى ارتياع :

ـ ماذا تفعل ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يصوّب مسدسه إلى رأس القائد :

ـ إننى أختطف الطائرة .

هتف مساعد الطيّار ، فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ـ تختطفها ؟!

وأطلقت (صفاء) شهقة أخرى ، فى حين زوى قائد الطائرة مابين حاجبيه ، وهو يقول :

ـ كيف أمكنك ركوب الطائرة ، وأنت تحمل هذا المسدس ؟

أجابه الشاب دون انفعال :

ـ إنه مصنوع بالكامل من البلاستيك .. أحدث صيحة للأسلحة الخفيفة ، المصنوعة خصيصًا بحيث لا تكشفها بوابات الأمن فى المطارات ، حتى رصاصاته من طراز خاص ، من البلاستيك المقاوم لدرجات الحرارة المرتفعة .

ـ مطّ قائد الطائرة شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ لعن الله المال ، الذى يدفع إحدى الشركات إلى انتاج مثل هذه الأشياء .

قال الشاب ساخرًا :

ـ دعك من هذه الفلسفة ، واستدر بالطائرة .. سنعود إلى مطار (هيثرو) .

أجابه الطيّار فى حزم :

ـ مستحيل .

وهتفت (صفاء) :

ـ ألا تدرك ماتفعله ؟! .. اختطاف الطائرات جريمة دولية .

أجابها فى هدوء عجيب :

ـ بل أنتم الذين لاتدركون ماتفعلونه .. إنكم تطلبون منى التضحية بحياتى ، من أجل الالتزام بجدول مواعيد سخيف .

قال الطيّار :

ـ ليس لدى مايثبت أن حياتك معرّضة للخطر ، بهبوطنا فى (القاهرة) .

أجابه الشاب :

ـ وأنا لم أحاول إثبات هذا ، وأنا أمرتك بالعودة إلى (لندن) .

قال الطيّار فى لهجة شبه ساخرة :

ـ وهل سأطلق علىّ النار ، لو لم أفعل ؟

أجابه الشاب فى صرامة :

ـ لن أتردّد فى هذا ، لو أنك اضطررتنى إليه .

قال الطيّار :

ـ ومن سيقود الطائرة ؟

بدت لهجة الشاب تكتسب شيئًا من العصبية والتوتر ، وهو يقول :

ـ فلتذهب الطائرة كلها إلى الجحيم ، مادام هبوطها فى (القاهرة) يعنى موتى .

لم تصدّق (صفاء) أذنيها ..

إنه مستعد لقتل الجميع ، دفاعًا عن حياته ..

أم أنه يهدّد بذلك فحسب ..

إنها لم تعد تستطيع التفرقة ، بين الحقائق والأكاذيب فى أقواله ..

لم تعد تثق به ..

أو بأى شىء ..

لم تعد تدرى حتى ماذا ينبغى أن تفعل ..

أو هى ـ على وجه الدقة ـ لم تكن تملك ماتفعله ..

ومع ارتجافتها واضطرابها ، سمعت الطيّار يقول :

ـ هل تعلم خطورة إطلاق النار داخل طائرة ؟

أجابه الشاب فى عصبية :

ـ نعم .. أعلم .. طلقة واحدة طائشة قد تثقب جسم الطائرة ، فيختلّ توازن الضغط داخلها ، فيندفع الجميع خارجها ، بقوة شفط هائلة ، وقد ينقسم جسمها إلى نصفين ، ولكن من أدراك أن رصاصاتى ستطيش .. تكفينى رصاصة واحدة ، أنسف بها جمجمتك .

قال الطيّار فى صرامة :

ـ المهم أن تجد الوقت لتفعل ، فقوانين الأمن هنا تمنع أى شخص ، مهما بلغ منصبه ، من التواجد داخل كابينة القيادة ، لأكثر من عشر دقائق ، ولقد شارفت تجاوز هذه الدقائق العشر ، وبعدها ستجد (عبد الحميد) هنا ، وسيتحوّل المكان إلى ساحة قتال .

قال الشاب فى حزم :

ـ يمكننى أن أغادر المكان .

ثم أضاف ، وهو ينقل فوهة مسدسه إلى رأس (صفاء) :

ـ ولكننى سأقتل هذه الفتاة بلا تردّد ، لو لم تعد إلى (هيثرو) .

ارتجف جسد (صفاء) ، واتسعت عيناها فى هلع ، وخفق قلبها

فى قوة ، وكادت تسقط فاقدة الوعى ، ولكنها فوجئت بالشاب يغمز بعينه ، وكأنه يعلنها عن عدم جدية مايقول ، ويطالبها بمعاونته ..

ولكن ذلك لم يبدّد عصبيتها وتوترها ..

الموقف كله كان يثير مشاعرها إلى أقصى حد ، وخاصة عندما قال الطيّار فى حزم :

ـ لا يمكننا العودة إلى مطار (هيثرو) ، حتى لو أردنا هذا ، فالوقود المتبقّى لنا لن يكفى للعودة .. يمكننا فقط أن نهبط فى أية دولة أخرى .

قال مساعد الطيار :

ـ مارأيك فى الهبوط فى مطار (الإسكندرية) ؟

قال الشاب فى حدة :

ـ لا تحاول خداعى .

وجذب إليه (صفاء) ، وهو يهتف :

ـ قلت إننى سأقتل الفتاة .

وعلى الرغم من معرفتها أنه يفتعل هذا ، وجدت نفسها تطلق صرخة رعب مكتومة ، وهو يلصق فوهة مسدسه بصدغها ، فى حين قال الطيّار فى غضب :

ـ اقترح أنت مطارًا آخر فى طريقنا .

صمت الشاب لحظة مفكّرًا ، ثم قال فى حزم :

ـ (مالطة) .. اهبط فى (مالطة) .

قال الطيار فى حدة :

ـ حسنًا .. سنهبط فى (مالطة) ، ولكننى أحذّرك للمرة الثانية .. ستثير شكوك (عبد الحميد) ، لو لم تغادر الكابينة الآن .

قال الشاب ، وهو يجذب (صفاء) معه :

ـ سأغادرها ، ولكن ينبغى أن تعلم أننى لا أحتمل الخداع ، وأن هذا المسدس ليس السلاح الوحيد الذى أحمله .

قالها وانتزع من حزامه قنبلة مستطيلة ، وهو يستطرد :

ـ هى أيضًا مصنوعة من البلاستيك ، وسأتسف بها الطائرة كلها ، إذا ماحاولت خداعى.

ارتجفت (صفاء) فى رعب أكثر ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، حتى غادر الشاب معها كابينة القيادة ، فهمست فى هلع :

ـ إنك لا تقصد هذا بالفعل .

ابتسم وهو يقول :

ـ بالطبع .

ولكنه أضاف فى صرامة :

ـ ولكن من حقى أن أدافع عن حياتى .

لم تناقش الفكرة معه ، ولكنها اقتنعت بها فى أعماقها ..

من حقه بالطبع أن يدافع عن حياته ..

لقد أخبرها بما ينتظره ، وأخبر به الطيّار ، وطلب منه معاونته على إنجاح مهمته ..

ولكن الطيّار رفض فى تعنت ..

ومن حقه ـ والحال هكذا ـ أن يدافع عن حياته بأية وسيلة ..

وبكل وسيلة ممكنة ..

لم يمنع هذا جسدها من الارتجاف ، وهى تسير أمامه فى ممر الركّاب ، حتى بعد أن أعاد هو مسدسه وقنبلته إلى حزامه ، وألقت نظرة حذرة على (عبد الحميد) ، ولكنها وجدته غارقًا فى مقعده ، مستغرقًا فى نوم عميق ، فشعرت بالحنق من هذا التراخى ، الذى يتعامل به الرجل ، على الرغم

من أن مهنته هى الدفاع عن الطائرة ، وملاحظة أية أفعال مريبة لأحد الركّاب ، فكيف يستغرق فى النوم ، ويترك الأمور تسير على هذا النحو ..

وماذا لو أن (أشرف) مختطف طائرات بالفعل ؟ ..

لم يكد ذلك الخاطر يجول بذهنها ، حتى ارتجفت فى هلع ..

ماذا لو أنه كذلك ؟ ..

إنه أكبر كذّاب عرفته ، فلماذا تصدّق قصته الآن ؟

ولماذا لم يختطف الطائرة ، وهو داخل كابينة القيادة ؟ ..

وجدت فى نفسها ميلًا لتصديق قصته ، ورأت (سميرة) تلوّح لها فى خبث ، أمام المطبخ ، فأرغمت شفتيها على ابتسامة شاحبة ، وسمعت الشاب من خلفها يهمس فى مرح :

ـ إنها تتصوّرنا حبيبين .. أليس كذلك ؟

غمغمت :

ـ إنها تبالغ دائمًا فى كل الأمور .

قال فى همس :

ـ ولماذا تبالغ ؟ .. أليست الحقيقة ؟

ارتجف جسدها فى قوة أكبر ، وهى تستقبل كلمته ..

الحقيقة ؟! ..

أمن الممكن حقًا أن يقع هو ، بوسامته وجرأته ، فى حبها هى ؟ ..

هل يمكنها أن تصبح زوجة رجل مخابرات ؟ ..

يا للإثارة والغموض ..

إنها ستتباهى بهذا بالفعل ..

ستزهو به فى كل مكان ..

وفى كل مجتمع ..

قطع انطلاقة أفكارها ، وهو يهمس :

ـ (صفاء) .. صحيح أننا نمر بمتاعب جسيمة ، ولكن صدقينى .. سينتهى كل هذا بسلام ، فور وصولنا إلى (مالطة) ، وعندئذ سيمكننى الإفصاح لك عن مشاعرى بكل صدق ووضوح ، والتقدم لطلب يدك ، و ..

قاطعته صيحة هادرة ، قبل أن يبلغ مقعده ، انطلقت من خلفه كالقنبلة ، وصاحبها يقول فى صرامة شديدة :

ـ (صادق) .

لم تدر (صفاء) من (صادق) هذا ، ولكنها فوجئت بـ (أشرف) يلتفت فى حركة حادة عنيفة إلى حيث وقف الرجل الغليظ الملامح ، الذى أطلق الصيحة ، وفوجئت أيضًا بـ (عبد الحميد) يستيقظ فجأة ، ويمتلىء جسده بقدر هائل من النشاط والحيوية ، وهو يغادر مقعده ، ويندفع نحو الشاب ، مستغلًا التفاتته نحو الرجل ..

وأطلقت (صفاء) صرخة ..

صرخة أثارت هرج وذعر ركّاب الطائرة ، وجعلت الشاب يستدير فى سرعة إلى (عبد الحميد) ، ثم ينتزع مسدسه فى لمح البصر ، ويطلق منه رصاصة مباشرة عليه ..

أطلقها بلا تردد أو تفكير ، ورأتها (صفاء) تخترق صدر (عبد الحميد) ، على قيد سنتيمترات من موضع القلب ، ورأت الدماء تتفجّر من صدر (عبد الحميد) ، وهو يسقط على وجهه ، فأطلقت صرخة أخرى ، شاركتها إياها راكبات الطائرة ، فى حين عاد الشاب يلتفت فى سرعة وشراسة إلى الرجل الغليظ الملامح ، ويصوّب إليه مسدسه ، وهو يجذب (صفاء) إليه فى قوة وخشونة ، ليصنع منها درعًا بشريًا له ..

وأطلقت (صفاء) صرخة رعب ، فى حين هتف غليظ الملامح فى توتر :

ـ اهدأ .. اهدأ يا (صادق) .. لن يمسسك أحد .

هتفت (صفاء) فى ارتياع :

ـ (صادق) ؟! .. من أنت بالضبط ؟ .. (حاتم) ، أم (أشرف) ، أم (صادق) ؟

ضغط الشاب عنقها بساعده فى قوة ، وهو يقول فى شراسة :

ـ اصمتى .

ارتجفت فى رعب ، وأطلقت (سميرة) شهقة فزع ، فى حين قال غليظ الملامح فى توتر :

ـ إنه (صادق) .. (صادق برهان) .. وهو شاب طموح وشرير .. دفعه ذلك المزيج المخيف ، من الشر والطموح ، إلى التعاون مع أعداء وطنه ، وخيانة هذا الوطن ، مقابل بضع مئات من الدولارات ، لا تساوى أبدًا ما فعله .

اتسعت عينا (صفاء) ، وهى تهتف فى هلع :

ـ جاسوس ؟! .. أهو جاسوس ؟

شدّد ضغط ساعده على عنقها أكثر ، حتى كادت تختنق ، وهو يهتف فى شراسة غاضبة :

ـ قلت : اصمتى .

وقال غليظ الملامح :

ـ نعم .. إنه جاسوس .. بل واحد من أخطر الجواسيس ، وأكثرهم ذكاءً وشراسة ، على الرغم من مظهره الوسيم الهادىء ، وطبيعته المرحة ، ونحن نراقبه منذ عام كامل ، ونجحنا أخيرًا فى دفعه لزيارة (القاهرة) ، بعد خمس سنوات كاملة ، قضاها فى (أوروبا) ، محاولًا تجنيد أكبر عدد من شبابنا ، للعمل لصالح العدو .. وكان يستغلّ حاجة الشباب المسافر إلى (أوروبا) للعمل ، ليرمى شباكه حولهم .. ولقد أعددنا خطتنا للإيقاع به ،

وإلقاء القبض عليه ، فور هبوط الطائرة فى مطار (القاهرة) ، ولكن يبدو أنه أدرك ماتنوى فعله به .

قال الشاب فى حدة :

ـ هذا صحيح .. لقد لمحتك أكثر من مرة ، تحوم حولى فى (لندن) و (روما) و (باريس) ، ووجودك على متن نفس الطائرة ، التى أسافر عليها إلى (القاهرة) ، بعد خمس سنوات كاملة ، فجّر شكوكى ، التى حسمتها هذه المضيفة الغبية ، عندما أبلغتنى أنك تراقبنى .

هتفت (صفاء) فى مرارة :

ـ إذن فأنا السبب فى كل هذا .

صاح أحد الركّاب فى هلع :

ـ نعم .. أنت المسئولة .. أنت الـ ..

صرخ الشاب :

ـ اصمت .. اصمتوا جميعًا .

لاذ الركّاب جميعهم بالصمت فى رعب ، وانكمشوا فى مقاعدهم ، فى حين قال غليظ الملامح فى صرامة :

ـ كل ماتفعله لن يفيدك بشىء يا (صادق) .. لقد انكشف أمرك ، ولم تعد هناك وسيلة للفرار .

هتف الشاب :

ـ هل تظن هذا ؟ .. أنت مخطئ إذن يا رجل .. لن اسلمكم عنقى بهذه البساطة .. لقد أجبرت الطيّار على تحويل مسار الطائرة إلى (مالطة) ، وهناك يمكنهم محاكمتى بتهمة اختطاف طائرة ، وسأرسل فى طلب محامىّ الخاص من (لندن) ، وأطلب حق اللجوء السياسى رسميًا .. وربّما أدانتنى القضاة هناك ، وصدر حكم بسجنى لعام أو عامين ، ولكن هذا سيكون

أفضل كثيرًا من حكم الإعدام ، الذى يصدره ضدى قضاة المحكمة العسكرية بـ (القاهرة) حتمًا .

انعقد حاجبا الرجل الغليظ الملامح ، وهو يقول :

ـ إنك لن تفلت من العقاب أبدًا .

هتف الشاب :

ـ سنرى .. سنرى من يربح هذه اللعبة .. لقد انكشفت الأوراق كلها ، ولن يضيرنى أن ..

بتر عبارته بغتة ، عندما شعر بذلك الجسد الثقيل يتعلّق به ..

لقد زحف (عبد الحميد) ، حتى بلغه ، وحاول الإمساك به ، على الرغم من إصابته ، وكل ما فقده من دماء ..

ولكن الشاب تحرّك فى سرعة ، فدفع (صفاء) جانبًا ، وهوى بالمسدس على عنق (عبد الحميد) خلفه فى عنف ، ولكن (عبد الحميد) تشبّث بالمسدس ، وانتزعه من قبضة الشاب ، وهو يسقط أرضًا ، واندفع غليظ الملامح ، محاولًا الانقضاض على الشاب ، وسط صرخات الهلع والفزع ، ولكنه ارتطم بـ (صفاء) ، التى دفعها الشاب فى وجهه ، ولم يكد يزيحها جانبًا ، وهى تطلق بدورها صرخات الرعب ، حتى فوجئ بالشاب وقد انتزع قنبلته البلاستيكية من حزامه ، وصرخ :

ـ حذار أن تحاول .. سأنسف الطائرة كلها لو فعلت .

انطلقت صرخات الركّاب مرة أخرى ، وتوقّف غليظ الملامح فى مكانه ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا تفعل .

نهضت (صفاء) من سقطتها ، وهى تشعر بمرارة هائلة ..

أهذا هو الشاب ، الذى تصوّرته زوجًا لها ؟ ..

أهذا هو الراكب الوحيد ، فى حياتها كلها ، الذى استجابت لعباراته الجميلة ، وكلماته الهامسة ؟ ..

كيف انخدعت إلى هذا الحد ؟! ..

كيف صدّقت أكبر كذّاب عرفته ؟ ..

تطلّعت فى اشمئزاز عجيب إلى ملامحه الوسيمة ، التى اكتست فى هذه اللحظة بشراسة عنيفة ، وهو يقول :

ـ سأنتزع فتيل القنبلة ، لو حاولتم إلقاء القبض علىّ مرة أخرى .

لوّح غليظ الملامح بكفيه ، هاتفًا :

ـ لن نحاول .. اهدأ .. لن نفعل .

انكمش الركّاب فى مقاعدهم أكثر ، وتضاعف رعبهم وهلعهم ، فى حين نهضت (صفاء) واقفة ، وهى تقول فى مرارة :

ـ لقد خدعتنى .

أجابها الشاب فى شراسة :

ـ لم يكن ذلك عسيرًا .

تضاعفت المرارة فى أعماقها لعبارته ، فى حين قال غليظ الملامح :

ـ إنه محترف فى هذا المجال ، فوسامته وخفة ظله ، وأسلوبه فى الإقناع ، كانت كلها وسائل بارعة ، استغلها للإيقاع بعدد من الضحايا .

قالت (صفاء) فى ألم :

ـ أيها الحقير .

صاح بها الشاب فى غضب :

ـ اصمتى ، وإلا قطعت لسانك هذا .

ثم أدار عينيه إلى الغليظ الملامح ، مستطردًا فى عصبية :

ـ وأنت .. أبعد يدك عن سترتك .

رفع الرجل ذراعيه ، وقال :

- كنت سألتقط سيجارة فحسب .. إننى لست مسلحًا .

قال الشاب فى عصبية :

- أعلم هذا .. سمعت ذلك الضخم يخبر تلك الغبية بهذا الأمر .

قال الرجل :

- هل يمكننى تدخين سيجارة واحدة إذن ؟

تردد الشاب لحظة ، ثم قال فى حدة :

- دعنى أر يدك طيلة الوقت ، والتقط تلك السيجارة بأبطأ حركة ممكنة .

مدّ الرجل يده داخل سترته فى بطء ، وهو يقول :

- اطمئن .. سأطيع أوامرك تمامًا ، و ..

وفجأة انتزع الغليظ الملامح من تحت سترته مسدسًا ، وصاح بـ (صفاء) :

- ابتعدى .

رفع الشاب فتيل القنبلة إلى أسنانه فى سرعة ، صارخًا :

- أيها الـ ..

ولكنه لم يتمّ عبارته ..

لقد أطلق غليظ الملامح ست رصاصات نحوه ، فى لحظة واحدة ..

واخترقت رصاصاته كلها جسد الشاب ورأسه ..

وانتزعته من مكانه ..

نعم .. لقد انتزعته رصاصات المسدس من مكانه ، وسط صرخات رعب هائلة ، ودفعته عبر الجزء المتبقى من الممر فى عنف ، ليسقط تحت

قدمى (سميرة) جثة هامدة ، تفجّرت منها ينابيع الدم ..

وأطلقت (سميرة) صرخة رعب طويلة ..

أطلقتها وهى تحدّق فى الوجه الوسيم ، الذى فقدت عيناه بريق الحياة ، واتسعتا فى دهشة وألم ، فى حين تعلّقت بأسنانه حلقة صغيرة ..

وكانت هذه الحلقة هى الفتيل ..

فتيل القنبلة .

لقد وجد الوقت الكافى لينتزع الفتيل بأسنانه ، قبل أن يلقى مصرعه ..

ونقلت (سميرة) عينيها ، من وجه الشاب إلى قبضته ..

ورأت القنبلة تنفلت من يده ، وتتدحرج إلى جواره ..

وصرخت (سميرة) ..

- القنبلة .

تفجرّت موجة من صرخات الهلع والفزع والرعب والارتياع ، داخل الطائرة ، فى حين همس (عبد الحميد) ، وهو يقاوم غيبوبة عميقة ، كادت تستولى عليه :

- المرحاض .. المرحاض ..

وسمعته (صفاء) ..

سمعته وفهمت مايعنيه ..

وبسرعة ، اندفعت (صفاء) نحو جثة الشاب ، وانحنت تلتقط القنبلة ، ثم اندفعت بها نحو دورة المياة ، وألقتها داخل المرحاض ، ثم ضغطت زر التفريغ المجاور له ..

وانفتحت كوة التفريغ الخاصة ..

وسقطت القنبلة ..

سقطت تسبح فى الهواء لحظات ، والطائرة تبتعد عنها فى سرعة ..

ثم دوى الانفجار ..

وانتهى الخطر ..

* * *

٤ ـ النجاة ..

لوّح مدير الأمن بمطار (القاهرة) بذراعيه، وهو يهتف فى ارتياح:

ـ كانت (صفاء) عظيمة بالفعل .. أنا أعلم منذ زمن أنها فتاة رائعة .. ستحصل على ترقية قريبة حتمًا.

تضرّج وجه (صفاء) بحمرة الخجل، وقال غليظ الملامح، الذى قدّم نفسه باسم المقدّم (عاطف شوقى):

ـ وكذلك (عبد الحميد) .. لقد كان رائعًا فى أدائه، فلقد طلب تفتيشى فى حجرة الأمن، عندما أبلغته الآنسة (صفاء) عن رؤيتها للمسدس فى جيبى، وفى حجرة الأمن أريته مسدسى المصنوع من البلاستيك، وقدّمت له هويتى، وشرحت له مهمتى، فتظاهر بعدم تقديره لإجراءات الأمن، وشرح للآنسة (صفاء)، أمام ذلك الجاسوس، أننى غير مسلح، مما ساعدنى على مباغتته، وكذلك تظاهر بالنوم، عندما خرج الشاب من كابينة القيادة، ليمكنه مباغتته .. إنه رجل أمن عظيم بالفعل.

غمغمت (صفاء) فى ندم:

ـ وأنا ظلمته كثيرًا .. حمدًا لله أن إصابته ليست بالغة الخطورة، وأنه سيشفى بإذن الله ..

ابتسم المقدّم (عاطف)، وقال:

ـ هذا يثبت نجاح عمله.

أما (سميرة)، فهتفت:

ـ كنت أعلم أن ذلك الشاب كذّاب .. كنت أعلم هذا.

لوّح (عاطف) بكفه، قائلًا:

ـ ولكن زميلتك صدقته.

قالت (صفاء) فى حرج:

ـ لقد أقنعنى بهذا، خاصة وأن ملامحه كانت توحى بـ ..

لم تكمل عبارتها؛ لأنها شعرت أن العبارة تفتقر إلى كثير من اللياقة، فى حين هتف (عاطف) فى دهشة:

ـ ملامحى ؟! .. وماشأن ملامحى بقصة كهذه ؟

ضحكت (سميرة)، وقالت:

ـ لم تكن ملامحه وحدها هى السبب.

لم يفهم (عاطف) ماتعنيه، ولكن تضرّج وجه (صفاء) بحمرة الخجل أنبأه بالأمر، فابتسم وقال:

ـ هذا يعلمكما درسًا جديدًا.

قالت (صفاء) بسرعة:

ـ أعرفه.

ثم أردفت فى ضيق:

ـ ليس كل مايلمع ذهبًا، ولاكل وسيم على حق فيما يقول، بل ربّما كان الأكثر جمالًا هو الأكثر فتكًا، كما يحدث فى عالم الحيوان والنبات.

وشرد بصرها، وهى تستطرد:

ـ تعلّمت أن المظهر هو الكذّاب الحقيقى.

وابتسمت مضيفة فى حزم:

ـ أكبر كذّاب.

* * *

تمت بحمد الله

العودة

(قصة قصيرة)

ثلاث سنوات ..

ثلاث سنوات كاملة ، لم يطأ فيها (فريد) أرض (مصر) ، منذ سافر للعمل بتلك الدولة ، من دول الخليج العربى ..

ويالها من فترة ! ..

لم يدر كيف أمكنه أن يقضى كل تلك الفترة ، بعيدًا عن زوجته وأولاده ؟ ..

كيف أمكنه أن يحتمل فراقهم وبعادهم ، طوال هذه السنوات ؟ ..

تنهّد فى عمق ، وهو يسترخى داخل سيارة الأجرة ، التى تحمله من مطار (القاهرة) إلى منزله ، ويستعيد ذكريات ثلاث سنوات مضت ..

لم يكن هناك من حل ـ حينذاك ـ لكل مشاكل الأسرة الاقتصادية ، سوى أن يقبل عقد العمل ، فى تلك الدولة ..

الأولاد يحتاجون إلى دروس خصوصية ، فى كل المواد تقريبًا ..

زوجته تشكو متاعب العمل والمواصلات والحياة ..

حموه بدأ يعلن عن تبرّمه من وجودهم معه فى منزله ، على الرغم من أنه يحيا وحده ، بعد وفاة زوجته ، وسفر أولاده الآخرين للعمل ، فى دول أخرى ..

ومتاعبه هو الشخصية ..

حتى علبة سجائرة ، كان يدخر القروش لشرائها ..

وكان الحل الوحيد هو السفر ..

وسافر ..

وهناك ، بين آبار النفط ، ومرارة الغربة ، وذل الوحدة ، راح يعمل ليل نهار ، ويحرم نفسه من كل شىء ، فيما عدا علبة السجائر الأجنبية الصنع ، حتى يرسل الجزء الأعظم من راتبه كل شهر ، لزوجته فى (القاهرة) ..

وبعد العام الأوّل ، أبلغته رسائل زوجته أن كل شىء أصبح أفضل ..

الأولاد يحصلون على دروسهم الخصوصية ، عند أفضل مدرسى (القاهرة) ..

ابتاعت زوجته سيارة صغيرة ، وتعلّمت قيادتها ، ولم تعد هناك مشاكل فى المواصلات أو العمل ..

ووقّعت الزوجة عقد تملّك شقة جديدة ..

ضايقه فى البداية أنها سجّلت عقد الشقة باسمها ، ولكنه لم يلبث أن تفهّم ضرورة هذا ، حتى لا يحتاج إلى كتابة توكيل شامل لها ، لدفع أقساط الشقة ، واستلامها ، ومايستتبع هذا من إجراءات ..

وفى أوّل محادثة هاتفية بينهما ، أخبرته زوجته أنها قد دفعت كل ما أرسله كمقدّم للشقة ، ومازالت هناك الأقساط الشهرية الضخمة ..

وقرر التنازل عن إجازته السنوية لهذا العام ، لتدبير مصروفات المنزل ، وأقساط الشقة الجديدة ..

يكفى أن يتحقّق الحلم ، ويصبح لديه شقة خاصة ، بعد أكثر من خمسة عشر عامًا من الزواج ..

ومضى العام الثانى أكثر مشقة ، ولكن النتائج كانت أروع مما يتصوّر ..

لقد تسلّمت زوجته الشقة الجديدة ، وأثثتها ، وأرسلت إليه صورها المبهجة ، وصور أولاده الثلاثة داخلها ..

ولقد تغيّرت هيئة الأولاد كثيرًا ..

(أحمد) أصبح أطول ، و (مها) ازداد وزنها ، و (سامح) يبدو أكثر أناقة ..

ومع أوّل عائد إلى (القاهرة) ، من زملاء العمل ، أرسل للأولاد حقيبة ضخمة ، تمتلئ بالملابس واللعب ..

وأرسل لزوجته حقيبة مثلها ..

وواصل إرسال أقساط الشقة ، ومصروفات المنزل ..

واضطر فى العام التالى للتنازل عن إجازته السنوية أيضًا ، لأن (أحمد) أصبح فى الشهادة الإعدادية ، ويحتاج إلى مزيد من الدروس الخصوصية ، وزوجته تشكو من متاعب السيارة المستعملة ، وتلحّ فى استبدالها بسيارة جديدة ، وأقساط الشقة لم تنته بعد ، و ..

ومضى عام ثالث من الكفاح والتعب والمهانة ..

وعندما حان موعد إجازته السنوية الثالثة ، قرّر أن يسافر لرؤية أولاده وزوجته ..

وشقته الجديدة ..

وقرّر أن يفاجئهم بعودته ..

وعندما أوقف سائق الأجرة سيارته ، أمام تلك البناية الفاخرة ، التى يحتلّ منزله الجديد أحد طوابقها ، خفق قلبه فى سعادة ، ونقد السائق بقشيشًا سخيًا ، وهو يحمل حقيبته الوحيدة ، ويستقلّ المصعد إلى شقته الجديدة ..

وفى المصعد ابتسم فى حنان ، وهو يرسم صورة جميلة للقائه بأولاده وزوجته ، ويتصوّر سعادتهم بعودته ، وتأثير المفاجأة الجميلة عليهم ..

وأمام باب الشقة ، انتبه لأوّل مرة إلى أنه لا يملك مفتاحًا للشقة ، فدقّ جرس الباب ، وهو يأسف لضياع المفاجأة ، التى يحلم بها منذ وصوله ..

ومضت لحظات من الصمت ، ثم فتحت (مها) الباب ..

ولثوان تطلّعت إليه ، وإلى ابتسامته فى حذر وتساؤل ، قبل أن تقول فى تردّد :

ـ بابا ؟!

هتف بكل سعادته لرؤيتها :

ـ نعم يا (مها) .. أنا أبوك .

صاحت :

ـ بابا .. مرحبًا بك .. مرحبًا .

عانقها فى حرارة وسعادة ، ودخل معها ـ لأوّل مرة ـ إلى شقته الجديدة ..

كانت شقة واسعة فاخرة بالفعل ، كل ركن فيها يشفّ عن ذوق زوجته وأناقتها ، ولكن أين ذهبت صورة زفافهما ؟ ..

انتبه فجأة إلى أنه لا توجد أية صورة له ، فى أى ركن بالمنزل ، وأدرك

لحظتها لماذا تردّدت ابنته (مها) ، قبل أن تصافحه ..

لقد نسيت ملامحه تقريبًا ..

ثلاث سنوات لم يرسل إلى أولاده فيها صورة واحدة ، ولا يرون صوره فى المنزل ، فى الوقت ذاته ، فمن الطبيعى إذن أن ينسوا ملامحه تقريبًا ..

شعر بمزيج من الأسف والمرارة لهذا ، وأدهشه أن قادته ابنته إلى حجرة الصالون ، وهى تقول :

ـ ستعود امى بعد قليل .

قال محتجًا :

ـ سأنتظرها فى حجرتنا .

لاحظ تردّد ابنته ، فأضاف فى حزم :

ـ أين حجرتنا ؟

قادته إلى الحجرة فى استسلام ، وكأنها مرغمة على هذا ، وسألها وهو يلقى سترته فوق الفراش ، ويضع حقيبته إلى جواره :

ـ أين ذهبت أمك ؟

أجابته فى خفوت :

ـ إلى مصفف الشعر (الكوافير) .

سألها :

ـ وأين (أحمد) و (سامح) ؟

أجابته ولهجتها تحمل شيئًا من الضجر :

ـ (أحمد) عند مدرّس الجغرافيا ، و (سامح) لم يعد من مدرسته بعد .

ثم سألته فى لهفة :

ـ ماذا أحضرت لنا معك ؟

أجابها فى ضيق :

ـ لقد أرسلت إليكم أشياءً كثيرة فى الشهر الماضى ، واليوم أحضرت حقيبتى فحسب .

ألقت نظرة مفعمة بخيبة الأمل على الحقيبة ، وهى تغمغم :

ـ حقًا !

قال فى حنق :

ـ ألا تشعرين بالفرح لرؤيتى ؟

ألقت عليه نظرة حذرة ، قبل أن تقول :

ـ بالطبع .

قالتها بلهجة خاوية من أية انفعالات ، ثم غادرت الحجرة ، وتركته وحده حائرًا متوترًا ..

ماذا أصابها ؟ ..

لماذا تتعامل معه وكأنها تستقبل ضيفًا ثقيلًا ؟ ..

لم يفهم سر هذا الأسلوب ، حتى عاد (أحمد) و (سامح) ، فى وقت واحد تقريبًا ، ولم يكد يعلن عن عودته ، حتى هتف (أحمد) :

ـ أبى عاد .. ماذا أحضرت لنا معك يا أبى ؟

وصاح (سامح) فى سعادة :

ـ هل أحضرت السيارة الصغيرة ، التى طلبتها منك ؟

أحنقه كثيرًا اهتمامهم بما أحضره ، أكثر من اهتمامهم بحضوره ، فأجاب فى عصبية :

- لا .. لم أحضر شيئا .

بدت خيبة الأمل على وجهى (أحمد) و (سامح) ، وفتر حماسهما تمامًا ، حتى أن أجوبتهما عن أسئلته جاءت مقتضبة مجاملة ، كما لو كانا يجيبان ضيفًا ، أو واحدًا من مدرسيهما ..

وضاق صدره بالموقف ، وراح يتطلع إلى ساعته فى قلق ، فى انتظار عودة زوجته ، عسى أن يجد فى سعادتها لرؤيته تعويضًا عما أزعجه من لقاء أولاده ..

وأخيرًا حضرت الزوجة ..

أدهشته رؤيتها فى البداية ، بشعرها الأصفر الذهبى المصبوغ ، وزينتها المبالغة ، وهى تهتف به :

- (فريد) ! .. يالها من مفاجأة ! .. متى وصلت ؟

صافحها فى حرارة ، وأخبرها أنه وصل منذ قليل ، ثم سألها :

- أتصبغين شعرك ؟

ابتسمت وهى تتحسّس شعرها ، قائلة فى زهو :

- هل يروق لك اللون ؟

أجابها مجاملًا :

- نعم .. إنه يناسبك تمامًا .

كان كاذبًا فى قوله ، فلون شعرها الذهبى لم يكن يناسب أبدًا بشرتها السمراء ، ولكنه آثر الهدوء ، وعدم الدخول فى مجادلات عقيمة ، وفضّل عدم مناقشتها أمام أولادهما ، فانتظر حتى ضمتهما حجرة نومهما ، وسألها :

- لماذا تصبغين شعرك ؟

قالت فى بساطة :

- الأشقر هو الموضة هذه الأيام .

أخرجت من حقيبتها علبة سجائر أجنبية ، التقطت منها سيجارة ، دسّتها بين شفتيها المصبوغتين ، وأشعلتها بقدّاحة ذهبية ، فسألها فى دهشة :

- منذ متى تدخنين ؟

أجابته فى هدوء :

- منذ عامين .

ثم أضافت وهى تنفث دخان السيجارة فى عمق :

- كل نساء الطبقة الراقية تفعلن هذا .

هتف فى دهشة :

- الطبقة الراقية ؟! .. من وضع هذه الفكرة الغبية فى رأسك .

قالت فى حدة :

- ليست فكرة غبية .. إنها واقع .. ألا تشاهد أفلام السينما ؟

لعن أفلام السينما ، وكل الأفكار العجيبة ، التى تغرسها فى رءوس الناس ، وبدأت بينه وبين زوجته مشادة ، حسمها وهو يقول فى مرارة :

- حسنًا .. لم أقطع كل هذه المسافة ، لنتشاجر بسبب هذا .

تلفتت حولها فى لهفة ، وهى تسأله :

- أين حقائبك ؟

أجابها وقد فهم ماترمى إليه :

- لم أحضر سوى حقيبتى .

هتفت فى ضيق :

- فقط .

أجابها وهو يختنق غيظًا :

- كان سفرًا مفاجئًا سريعًا .

أدهشها أن قالت فى أسف :

- يا للخسارة !

لحظتها أدرك لماذا قضى فى الغربة ثلاث سنوات كاملة ..

لقد احتمل كل هذا ؛ لينساه أولاده ..

ليخلو بيته من صورته ..

لتصبغ زوجته شعرها ..

وتبدل سيارتها ..

احتمل العذاب والوحدة والهوان والمرارة ، لتنفث زوجته كل هذا ، مع أنفاس سيجارة أجنبية الصنع ..

وفى آلية ، وبلا أدنى لهفة أو انفعال ، سألته زوجته :

- كم ستبقى ؟

وبكل مرارة الدنيا فى أعماقه ، أجاب :

- سأرحل فى الصباح الباكر .. لم يعد لى مكان هنا ..

وكان يعنى مايقول .

* * *

الذين ذهبوا

(دراسة)

، إنها (أطلانطس) ... ،

صرخ طيار مُدنى بهذه العبارة ، وهو يقود طائرته فوق جزر (بهاما) ، عام ١٩٦٨ ، عندما شاهد مع زميله جزيرة صغيرة تبرز من المحيط ، بالقرب من جزيرة (بيمن) ، وأسرع يلتقط آلة التصوير الخاصة به ، ويملأ

فيلمها بصور لذلك الجزء من القارة المفقودة ، التى ألهبت الخيال طويلا .. قارة (أطلنطس) ..

ولكن لماذا تصوّر الطيار وزميله أن هذا الجزء ، الذى يحوى أطلالا قديمة ، هو جزء من قارة الخيال والغموض ؟ ..

إن الجواب يعود إلى يونيو ١٩٤٠ ، عندما أعلن الوسيط الروحى الشهير (إدجار كايس) ، واحدة من أشهر نبوءاته ، عبر تاريخه الطويل ، إذ قال إنه ، ومن خلال وساطة روحية قوية ، يتوقع أن يبرز جزء من قارة (أطلنطس) الغارقة ، بالقرب من جزر (بهاما) ، مابين عامى ١٩٦٨م ، و ١٩٦٩م ..

ولقد اتهم العديدون (كايس) بالشعوذة والنصب ، عندما أعلن هذه النبوءة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انتظر العالم ظهور (أطلنطس) بفارغ الصبر ..

وكان لظهور ذلك الجزء ، فى نفس الزمان والمكان ، اللذين حدّدهما (كايس) فى نبوءته ، وقع الصاعقة على الجميع .. مؤيدين ومعارضين ؛ إذ كان - فى رأى الجميع - الدليل الوحيد الملموس ، على وجود (أطلنطس) ..

هذا لأن قارة (أطلنطس) ، ظلت دائما مجرّد أسطورة ، يعجز أى عالم أو باحث أثرى ، مهما بلغت شهرته وخبرته ، عن إثبات أو نفى وجودها ، بصورة قاطعة جازمة ..

والحديث عن (أطلانطس) يعود إلى زمن قديم ، أقدم مما يمكن أن تتصوّر ، فلقد ورد ذكرها - لأوّل مرة - فى محاورات (أفلاطون) ، حوالى عام ٣٣٥ق.م ، ففى محاورته الشهيرة ، المعروفة باسم (تيماوس) ، يحكى (كريتياس) أن الكهنة المصريين استقبلوا (صولون) فى معابدهم ، وهذه حقيقة تاريخية ، ثم يشير إلى أنهم أخبروا (صولون) عن قصة قديمة ، تحويها سجلاتهم ، تقول : إنه كانت هناك امبراطورية عظيمة ،

تعرف باسم (أطلانطس) ، تحتل قارة هائلة ، خلف أعمدة (هرقل) - مضيق جبل (طارق) حاليًا - وإنها كانت أكبر من شمال (أفريقيا) و (آسيا) الصغرى مجتمعتين ، وخلفها سلسلة من الجزر ، تربط بينها وبين قارة ضخمة أخرى ..

وفى نفس المحاورة ، وصف (كريتياس) (أطلانطس) بأنها جنة الله (سبحانه وتعالى) فى الأرض ، ففيها تنمو كل النباتات والخضراوات والفواكه ، وتحيا كل الحيوانات والطيور ، وتتفجّر فيها ينابيع المياه الحارة والباردة ، وكل شىء فيها نظيف جميل طاهر ، وشعبها من أرقى الشعوب وأعظمها ، له خبرات هندسية وعلمية تفوق - بعشرات المرات ما يمكن تخيله ، فى عصر (أفلاطون) ، إذ وصف (كريتياس) إقامتهم لشبكة من قنوات الرى ، والجسور ، وأرصفة الموانى ، التى ترسو عندها سفنهم وأساطيلهم التجارية الضخمة ..

ثم يحكى (كريتياس) عن الحرب بين الأثينيين والأطلانطيين ، ويصف كارثة مروعة ، محقت الجيش الأثينى ، وأغرقت قارة (أطلانطس) كلها فى المحيط ..

وإلى هنا تنتهى المحاورة ..

وتبدأ المشكلة ..

مشكلة (أطلانطس) ..

ففى البداية ، تعامل الباحثون مع محاورة (أفلاطون) ، بصفتها رواية مثالية ، لوصف المدينة الفاضلة (يوتوبيا) ، وأنها مجرّد خيال لا أكثر ..

ثم دسّ العلماء أنفهم فى الأمر ..

والسبب الذى جعل العلماء يفكرون فى قصة (أطلانطس) ، هو أن فكرة وجود قارة وسيطة ، تربط مابين (أفريقيا) و (أمريكا) ، كانت تملأ الأذهان ، تثير اهتمام العلماء ، الذين يتساءلون عن سر وجود تشابه

حضارى ما بين العالمين ، القديم والجديد ، ويبحثون عن سبب علمى ومنطقى ، لوجود نفس النباتات والحيوانات ، فى قارتين تفصل بينهما مساحة مائية هائلة ..

وفى الوقت نفسه كانت هناك تلك الظواهر الحضارية المدهشة ، التى يجدها العلماء وسط أماكن لم تشتهر أبدا بالحضارة ، مع وجود أساطير متشابهة فى تلك الأماكن ، تشير إلى أن الآلهة جاءت من حضارة أخرى ، وضعت كل هذا ..

وجاء وجود (أطلانطس) ، ليضع تفسيرا لكل هذا الغموض ..

كان وجود قارة متقدمة ، فى هذا الزمن القديم ، يريح عقول الجميع ، ويفترض وجود شعب متطور ، بنى حضارته فى قلب الأرض ، ونشر أجزاء منها فى كل القارات ..

ولكن أين الدليل على وجود (أطلانطس) ذات يوم ؟..

إن قصة (أفلاطون) مازالت تتأرجح ، مابين الخيال ونصف الخيال ، والحقيقة ، فعلى الرغم من أن محاورة (كريتياس) تشير إلى أن المصريين هم الذين أخبروا المشرّع الأثينى (صولون) بقصة (أطلانطس) ، إلا أننا لانجد ذكرا لهذه القصة عند المصريين أنفسهم ، وفى الوقت نفسه لا يوجد دليل واحد ، على أن (أثينا) كانت يوما بهذه القوة ، التى تمكنها من التصدى لحضارة متطورة كحضارة (أطلانطس) ..

وفى نفس الوقت ، نجد من بين العلماء من يؤكد وجود (أطلانطس) ، ويشير إلى أن

(أفلاطون) أخطأ التاريخ والزمن فحسب ، أو أنه كان يستخدم تقويما يختلف عن التقويم ، الذى نستخدمه الآن ، وحجتهم فى هذا هى كشف حقيقة وجود مدينة (طرواده) ..

و (طروادة) هذه مدينة أسطورية ، ذكرها (هوميروس) فى ملحمتيه الشهرتين (الإلياذة) و (الأوديسا) ، حوالى عام ٨٥٠ ق.م ، أى قبل (أفلاطون) بخمسة قرون ، وظل الدارسون يعتقدون أن (طروادة) مجرد خيال ، من بنات أفكار (هوميروس) ، حتى جاء الألمانى (هنريش شوليمان) عام ١٨٧١م ، لينتشل (طروادة) من التراب ، فى (هيسارليك) ، فى شمال غرب (تركيا) ..

وبعده جاء سير (آرثر إيفانز) ، ليؤكد أن (قصر النيه) ، الذى جاء ذكره فى أسطورة (المينوتوروس) حقيقة ، ويثبت وجوده بالفعل ، عام ١٩٠٠م ..

فلماذا لا ينطبق هذا على (أطلانطس) ؟

مادام (شوليمان) و (إيفانز) قد عثرا على أسطورتين ، فلماذا لا يعثر ثالث على أسطورة ثالثة ، ويثبت أن (أطلانطس) حقيقة واقعة ؟..

ومن هذا المنطلق ، بدأت عشرات المحاولات ؛ لإثبات وجود (أطلانطس) ، وراح العلماء يبحثون عن أماكن أخرى ، بخلاف المحيط الأطلسى ، يمكن أن تكون المهد الحقيقى للقارة المفقودة ، فأشار الفيلسوف البريطانى (فرانسيس بيكون) إلى أن (أطلانطس) هى نفسها قارة (أمريكا) ، وأكد البريطانى (فرانسيس ويلفورد) أن الجزر البريطانية هى جزء من قارة (أطلانطس) المفقودة ، فى حين اقترح البعض الآخر وجودها فى (السويد) ، أو المحيط الهندى ، أو حتى فى القطب الشمالى ..

ثم جاءت نبوءة (إدجار كايس) ، لتضع قاعدة جديدة للقضية كلها ..

وبعد ظهور جزيرة (كايس) الصغيرة ، والمبانى ، أو الأطلال الأثرية

فوقها ، قرر باحث وأديب وغوّاص شهير ، يدعى (تشارلز بيرليتز) ، أن يبحث عن (أطلانطس) فى نفس الموقع ، وبدأ بحثه بالفعل ، ليلتقط عددًا من الصور لأطلال واضحة ، فى قاع المحيط ، ومكعبات صخرية ضخمة ، ذات زوايا قائمة ، مقدارها تسعين درجة بالضبط ، مما يلغى احتمال صنعها بوساطة الطبيعة وعوامل التعرية وحدها ..

ولم يكن هذا وحده ماتمّ العثور عليه ، فى تلك المنطقة من المحيط ..

لقد عثر الباحثون ، بالقرب من سواحل (فنزويلا) ، على سور طوله أكثر من مائة وعشرين كيلو مترًا ، فى أعماق المحيط ، وعثر السوفيت ، شمال (كوبا) على عشرة أفدنة من أطلال المبانى القديمة ، فى قاع المحيط ، وشاهدت ماسحة محيطات فرنسية درجات سلم منحوتة ، فى القاع ، بالقرب من (بورتريكو) ..

وعلى الرغم من هذا فالجدل ، حول حقيقة (أطلانطس) ، مايزال قائمًا ..

والنظريات أيضًا لم تنته ..

ومن بين هذه النظريات نظرية تقول : إن سكان (أطلانطس) قد أتوا من كوكب آخر ، فى سفينة فضائية ضخمة ، استقرّت على سطح المحيط الأطلسى ، وأنهم انتشروا فى الأرض ، وصنعوا كل مايثير دهشتنا فى كهوف (تيسلى) بـ (ليبيا) ، وبطارية (بغداد) ، وحضارة (مصر) ، وأنهم كانوا عمالقة زرق البشرة ، (وهناك إشارة إلى هذا ، فى بعض الروايات بالفعل) ، ثم شن الأثينيون حربًا عليهم ، فنسفوا الجيش الأثينى بقنبلة ذرية ، أو مايشبه هذا ، وبعدها رحلوا ، وتركوا خلفهم كل هذه الآثار ..

وعلى الرغم من غرابة النظرية ، فإنها تجد من يؤيدها ، وبكل حماس ، مشيرًا إلى أن كل الآلهة والملوك وصفوا ، فى كل العصور تقريبًا ، بأنهم

من أصحاب الدم الأزرق ، أو الدم النبيل ..

حتى اللون الأزرق ، أطلقوا عليه اسم (اللون الملكى) ..

وهناك نظرية أخرى ، تربط ما بين (أطلانطس) وجزيرة (كريت) ، التى حملت يومًا حضارة رائعة مبهرة ، تشابهت فى كثير من وجوهها مع حضارة (أطلانطس) ، كما أشار البروفيسير (ك.ت.فروست) ، عام ١٩٠٩م فى (لندن) ، حيث قال : إن كل شىء فى (كريت) يتشابه مع ماذكره (أفلاطون) عن (أطلانطس) ، فكل من الحضارتين نشأت فى جزيرة ، وكلتاهما لقيت نهاية مفاجئة ، كما أنه هناك مراسم صيد الثيران ، والميناء العظيم ، والحمامات الضخمة ، والملاعب الرياضية ، وكل الأشياء الأخرى ، التى عثر عليها سير (إيفانز) فى (كريت) ، والتى ذكرها .. (أفلاطون) فى محاورة (كريتياس) ..

ويؤيد البروفيسير (ج.ف.لوتش) هذا ، فى كتابه (نهاية أطلانطس) ، ويؤكد أن اختفاء (أطلانطس) معنى مجازى ، وليس حقيقيًا ، وأنها لم تغرق فى قاع المحيط ، وإنما تعرّضت لكارثة أودت بها ، مثل كارثة بركان (ثيرا) ، وبركان (كراكاتوا) ، عندما ثار البركان ، ودمّر جزيرة كاملة ..

وهناك احتمال يقول إن قصة (أفلاطون) هى تحوير للقصة الفعلية ، التى سمعها (صولون) فى (مصر) ، بعد أن تناقلتها الألسن والذاكرة لقرون كاملة ، قد تتغير خلالها رواية الأحداث ، وأسماء الأشخاص والأماكن ..

واسم (أطلانطس) نفسها ..

وكالعادة ، تفتقر كل هذه النظريات إلى الدليل ..

الدليل العلمى القوى ..

وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، مازال عشرات العلماء يبحثون عن

قارة (أطلانطس) ، التى أصبحت قارة الغموض والخيال ، فى عقول العلماء والأدباء ..

عشرات النظريات تحدثت عنها ..

مئات المقالات والكتب كتبت اسمها ..

أعداد لاحصر لها من الروايات الخيالية ، تفترض وجودها والعثور عليها ، وينسج الخيال مغامرات مثيرة داخلها ، عن حضارتها ، وتقدمها .. وعن شعبها الغامض ..

أولئك الذين أقاموا أكثر حضارات التاريخ غموضا وإثارة ..

الذين تزعموا العالم يوما ..

والذين ذهبوا ..

وبلا عودة .

* * *

مذكرات مخرج إعلانات

● السبت ٢٦ ديسمبر :

ـ أنا عبقرى ..

بالتأكيد أنا كذلك ..

ولكن عبقريتى هذه تربك الجميع ، فلا أحد يمكنه فهم أسلوبى المبتكر ، ولا حاستى المرهفة ، ولا أحد يستوعب إصرارى الشديد على الواقعية الإعلانية (وهذا المصطلح الأخير من ابتكارى شخصيًا) ..

ولهذا أراد تصوير مشهد سقوط البطلة ، من الدور التاسع ، داخل الاستوديو ، مع وضع خلفية سينمائية لمشهد الشارع ، ولكننى رفضت هذا رفضا باتًا ـ بصفتى مساعده ـ وقلت أن الواقعية تقتضى إلقاء البطلة من الدور التاسع بالفعل ، ووضع وسادة كبيرة ، أو مرتبة قوية أسفل البناية ؛ لاستقبالها ..

وكانت الكارثة ..

قال الأستاذ (صلاح) : إننى معتوه ، وقالت البطلة : إننى سادى وحشى وكلمات أخرى لم أفهمها ، ولكننى أظنها نوعًا من السباب أو الشتائم ..

المهم أن كلامنا قد أصر على رأية ، ولم يحتمل المخرج (أبو خنجر) أن أتفوّق عليه فنيًا ، فطردنى من العمل ..

ولكن هذا لا يهمنى ..

سأثبت لهم أننى الأفضل ، وسأفتتح شركة إعلانات خاصة ..

وسنرى من الأفضل ..

• الثلاثاء ٢٩ ديسمبر :

اليوم افتتحت المكتب ، الذى استنفدت كل ثروتى فى استئجاره ، والإعلان عنه فى الصحف ..

الآن فقط ستبرز موهبتى وعبقريتى ، ويعلم العالم كله من أنا ..

ولقد وقعت اليوم ، وبعد ساعة واحدة من افتتاح المكتب ، أوّل عقد لعمل إعلانى تليفزيونى ، لحساب شركة مستحضرات تجميل جديدة ..

وقررت دخول المعركة بكل قواى ..

سأثبت لهم أننى عبقرى الإعلانات ..

وسيرون ..

• الأربعاء ٣٠ ديسمبر :

اليوم بدأت تصوير أوّل إعلاناتى المبتكرة ، وهو إعلان فكرته عبقرية — كمعظم أفكارى - فسترتدى فتاة الإعلان (لولو) ثوب سهرة ، وترش شعرها بمثبت الشعر الجديد ، الذى أنتجته شركة (الوجه

الحسن) لمستحضرات التجميل ، ثم تتجه إلى البحر ، وتقفز فيه ، وتسبح وسط الأمواج وهى مبتسمة ، ثم تخرج من البحر ، وتشير إلى شعرها بابتسامة جذابة ، قائلة :

- انظروا .. مازالت تصفيفة شعرى كما هى ..

إعلان عبقرى .. أليس كذلك ؟

وطلبت من (لولو) أن تستعد لتصوير المشهد على شاطئ البحر ، ولكنها اعترضت ، وراحت تلقى الحجج الواهية ..

السماء تمطر .. الطقس شديد البرودة ..

كلها حجج تشف عن التكاسل والتقاعس ..

ولكن هيهات ..

لابد أن يكون الإعلان واقعيًا طبيعيًا ..

وحاول مساعدى أن يتدخل ، وراح يرجونى أن نستخدم خلفية سينمائية ، مع بعض الماء الدافئ ، ولكننى رفضت فى إصرار ، وحملت كل الأدوات - مع (لولو) - إلى البحر ..

وعلى الرغم من اعتراضات (لولو) ، لم يكن أمامها مفرّ من أن ترتدى ثوب السهرة ، وترش شعرها بمثبت (الوجه الحسن) للشعر ، ثم قرأت الشهادتين ، وألقت نفسها فى البحر ، وخرجت منه تقول :

- إن .. إن .. انظروا .. مازال .. زال .. زالت .. تص .. تص ..

- (ستوب) .. مامعنى هذا ؟

أضاعت (لولو) وقتًا ثمينًا آخر ، لكى تشرح لى بصوت مرتجف ، وأسنان تصطك بعضها ببعض ، أنها تكاد تتجمّد بردًا ، وأن كلماتها ترتجف ، و .....

رفضت هذا المنطق المدلّل فى إصرار ، وأعدت تصوير المشهد ..

وفى هذه المرة خرجت (لولو) ، وابتسمت فى صعوبة ، وهى تقول :

ـ انظروا .. مازالت تصفيفة شعرى .. اتشو .

صرخت مرة أخرى :

ـ (ستوب) .. هذه العطسة أفسدت المشهد .. سنعيد التصوير .

غطست (لولو) مرة ثانية فى البحر ، وخرجت بابتسامة باهتة ، وراحت تتطوّح على نحو سخيف ، حتى وصلت إلى النقطة المطلوبة ، وقالت :

ـ انظروا .. مازالت تصفيفة شعرى كما ..

صرخت مقاطعًا :

ـ (ستوب) .

هتفت فى غضب :

ـ أنت قاطعتنى هذه المرة .. كنت سأقول الجملة الصحيحة .

تجاهلت اعتراضها ، وأنا أسألها فى حدة :

ـ لماذا تضعين طلاء شفاه أزرق اللون ؟

قالت فى حدة مماثلة :

ـ لقد ذاب طلاء الشفاه فى الماء ، وشفتى زرقاء من شدة البرد .

لم يقنعنى منطقها ، وطالبتها بوضع طلاء شفاه وردى ، ثم عادت تغطس مرة أخرى فى الماء ، ولكنها خرجت من البحر زائغة العينين ، ولم تستطع أن تقول أكثر من :

ـ انظروا .. مازالت تص .. تص ..

ثم سقطت على وجهها ..

وكدت أنفجر غيظًا ، من هذا الإهمال ، وطالبتها بإعادة المشهد مرة أخرى ، وعاونها مساعدى ومدير التصوير على النهوض ، واتجهت مترنحة نحو البحر ، وغطست ..

واستعدّت آلات التصوير لالتقاط مشهد خروج (لولو) من الماء ..

وانتظرنا ..

ولم تخرج (لولو) ..

وثرت ، ورحت ألعن الجميع ، واعتبرت أن (لولو) متهربة من التصوير ، برغم تقاضيها نصف أجرها مقدمًا ، فى حين بدا الجميع شديدى القلق (ولست أدرى لماذا) ، ولم يكن أمامنا فى النهاية إلا أن نؤجّل التصوير إلى اليوم التالى ..

● الخميس ٣١ ديسمبر :

مازالت (لولو) مفقودة ، ولقد أبلغت الشرطة ؛ لأسترجع نصف الأجر ، الذى دفعته قبل التصوير ، ولكننى كنت أحتاج إلى فتاة إعلان أخرى ، ولقد أحضر مساعدى فتاة إعلان جديدة ، اسمها (فوفى) ، ولكنه همس لى أنها مصابة بحساسية شديدة من مياه البحار والأنهار والبرك والمستنقعات ، وكل أنواع المياة الأخرى ..

ولم يكن أمامى سوى تغيير فكرة الإعلان ..

ولقد وضعت فكرة عبقرية جديدة على الفور ..

فتاة تنشر الغسيل فوق سطح ، ثم يصعد إليها حبيبها ، وعندما تتقدّم منه مبتسمة ، يهوى على وجهها بصفعة قوية ، ولكنها تظلّ مبتسمة ، وتقول :

ـ فليكن يا حبيبى .. حتى لو صفعتنى ، ستبقى تصفيفة شعرى كما هى .

إعلان عبقرى ومبتكر ..

وبدأنا التصوير فوق سطح منزل من طابقين ، واستعنت بشاب إعلانى وسيم ، له عضلات مفتولة ، يُدعى (بُرعى) ، وبدأت (فوفى) تنشر الغسيل ، ثم صعد إليها (بُرعى) ، فاتجهت إليه مبتسمة ، وهوى (بُرعى)

على وجهها بصفعة قوية ، كما طلبت منه ..

وفجأة اختفت (فوفى) من كادر التصوير ..

وصرخت فى غضب :

ـ أين بطلة الإعلان ؟

رأيتها تنهض من الطرف الآخر للسطوح ، وخدها أحمر فى لون الدم ، وادّعت أن صفعة (بُرعى) هى التى ألقت بها هناك ، ولكننى أفهمتها أننى رجل جاد ، ولست أحب تلك الأعذار الواهية ، فطلبت منى أن يتظاهر (بُرعى) بصفعها فحسب ، ولكننى ثرت ، وقلت لها أننى مخرج واقعى ..

ولم يكن أمامها سوى الرضوخ ..

وفى المرة الثانية هوى (بُرعى) على وجهها ، فاختفت أيضا من الكادر ، ووجدناها هذه المرة فى عشة فراخ قريبة ..

وهنا تفتق ذهنى العبقرى عن فكرة رائعة ..

طلبت من (برعى) أن يمسك دراعها بيده اليسرى ، ويصفعها بيده اليمنى ، حتى لا يمكنها الخروج من الكادر ..

وأطاعنى (بُرعى) كعادته ..

ممتاز هذا الشاب ..

وهوى على وجه (فوفى) بصفعة هائلة ، وهو يمسك ذراعها بيده اليسرى فى إحكام ، ولم تخرج الفتاة من الكادر ، فصرخت أنا فى حماس :

ـ رائع يا (بُرعى) ..رائع .

وانتقل الحماس إلى (بُرعى) ، فصفعها مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، ثم لكمها فى أنفها ، وحملها بين ذراعيه ، وألقاها من الطابق الثانى ..

واستغلت (فوفى) هذا الخطأ البسيط ؛ لترفض استكمال تصوير الإعلان ، بل لقد تمادت فى عنادها ، وتظاهرت بأن ساقيها قد كسرتا ، واتقانا للحجة ، وضعت ساقيها فى الجبس بالفعل ..

ولكن هيهات ..

سأبلغ الشرطة عنها أيضا ، وأستعيد نصف الأجر ..

إنه حقى ..

• السبت ٢ يناير :

لست أدرى لماذا ترفض جميع فتيات الإعلانات العمل معى !! ..

إنها مؤامرة بالتأكيد ..

لقد غار الجميع من عبقريتى ، ونقلوا حقدهم هذا إلى فتيات الإعلانات ..

ولكن هذا لا يهمنى ..

لست أحتاج إلى فتاة إعلان محترفة ، سأستعين بأية فتاة عادية ، وأجعل منها فتاة إعلان ، لأثبت لهن أن عبقريتى وحدها تصنع النجاح ..

ولقد عثرت صباح اليوم على ضالتى ..

اسمها (نفيسة) ..

(نفيسة العمشة) ، ولكن هذا الاسم لا يروق لى ..

إنه ليس متألقا أو جذابا ، من الناحية الفنية ، ولقد طلبت منها تغييره ، ووافقت بالطبع ، واسمها منذ اليوم هو (نفوسة العمشة) ..

اسم سينمائى جذاب ..

و (نفوسة) هذه فتاة رائعة ، ستصبح أشهر فتاة إعلان فى الشرق الأوسط كله ..

صحيح أنها قصيرة ممتلئة ، وشعرها مجعّد بشدة ، وأنفها كبير ، وعيناها ضيقتان ، وشفتاها غليظتان ، ولكنها ـ باستثناء هذه الأشياء ـ رائعة بكل المقاييس ..

واليوم بدأت تصوير أوّل إعلان مع (نفوسة) ..

إعلان مثبت (الوجه الحسن) للشعر ..

و (نفوسة) موهوبة فى هذا المجال ، فالوسيلة الوحيدة لتغيير تصفيفة شعرها المجعّد ، هى استخدام المطرقة والأزميل ، أو المنشار الكهربى ..

ولهذا كان الإعلان سهلا ..

لقد رشت (نفوسة) شعرها بمثبت (الوجه الحسن) للشعر ، ثم سارت فى طريق مظلم ، وهناك هاجمها بعض اللصوص ، وراحوا يجذبونها من شعرها ، ويضربون الأرض برأسها ، ثم تركوها وانصرفوا ، ونهضت هى تبتسم ، دون أن تهتز شعرة واحدة من رأسها ..

ونجح تصوير الإعلان فى مرتين فحسب ، وكان من الممكن أن ينجح من المرة الأولى ، لولا ذلك الرعب ، الذى أصاب اللصوص فى المرة الأولى ، عندما رأوا وجه (نفوسة) فى الظلام ..

وبدأت تصوير الإعلان الثانى ..

إعلان طلاء الشفاه ..

و (نفوسة) موهوبة أيضا فى هذا المجال ؛ فشفتها السفلى كبيرة

ممطوطة ، حتى أن بعضهم يؤكد أنها كانت تسبّب لها بعض الصعوبة فى طفولتها ، إذ كانت تتعثر فيها ، كلما حاولت المشى ..

المهم أن (نفوسة) قد طلت شفتيها بطلاء (الوجه الحسن) للشفاه ، واستهلكت فى هذا نصف دستة من أصابع طلاء الشفاه ، ثم بدأ تصوير الإعلان ..

وبدأ الإعلان بلقطة شديدة القرب لشفة (نفوسة) السفلى ، ثم راحت آلة التصوير تبتعد فى بطء ، حتى تبرز وجه (نفوسة) كله ..

وأصيب مدير التصوير بالملل ، وكل مايملأ الشاشة مجرّد لون أحمر ..

وأخيرًا ظهر وجه (نفوسة) ..

وأنفها ..

وبصوتها المتميّز ، قالت (نفوسة) :

ـ طلاء (الوجه الحسن) للشفاه .. هو الطلاء الذى أستعمله .

وانتهى تصوير الإعلان ..

• الثلاثاء ٥ يناير :

انتظرت ـ فى شغف ـ العرض على شاشات التليفزيون ..

وعندما تم عرض الإعلان ، كانت ردود الفعل قوية للغاية ، فمع طول اللقطة المقرّبة لشفة (نفوسة) ، تصوّر جميع المشاهدين أن أجهزة التليفزيون قد أصيبت بعطب ..

ثم فجأة ظهر أنف (نفوسة) ، ليملأ الشاشة كلها ، وانطلق صوتها يقول العبارة المميّزة ..

وتفجرّ الموقف كله ..

صرخ الأطفال ، وفقدت النساء وعيهن ، وأصيب العجائز بنوبات قلبية ..

وأصبح الإعلان حديث (مصر) كلها ..

وهذا هو النجاح ..

الإعلان العبقرى هو الإعلان الذى يتحدّث عنه الجميع ..

لقد أثبت عبقريتى ..

ونجح الإعلان نجاحًا مبهرًا ..

ولكن شركة (الوجه الحسن) لمستحضرات التجميل أفلست ..

يبدو أن منتجاتها لم تكن بالمستوى المناسب ..

المهم أننى أجلس الآن فى انتظار توقيع عقد الإعلانات التالى ، ولست أشك فى أن العقود ستنهال علىّ وعلى (نفوسة) ..

● الأربعاء ١٣ يناير :

مازلت أنتظر توقيع العقد ..

● السبت ١٧ أبريل :

مازلت أنتظر توقيع العقد ..

● الأربعاء ٣١ يوليو :

(نفوسة) أصيبت بانهيار عصبى ، وأنا مازلت أنتظر توقيع العقد ..

● السبت ٢٢ سبتمبر :

عرض علىّ الأستاذ (صلاح أبو خنجر) ، العمل كساع فى مكتبه الجديد ، ولكننى رفضت فى كبرياء ، ومازلت أنتظر توقيع العقد ..

● الخميس ٧ نوفمبر :

(نفوسة) انتحرت ، ومازلت أنتظر توقيع العقد ..

● الاثنين ٢٦ ديسمبر :

- قبلت وظيفة الساعى ، فى مكتب (صلاح بك أبو خنجر) .

توقيع
مخرج إعلانات
سابقًا

١ ـ النداء ..

ارتسمت ابتسامة حماسية كبيرة ، على وجه المهندس (ياسر) ، وهو يشير بيده إلى المنطقة الصخرية الجرداء المطلّة على البحر ، التى يقف فيها ، وهو يقول لصديقه (أكرم) فى فخر :

ـ ها هى ذى منطقة صيدنا الجديدة .

بدا مزيج من خيبة الأمل والرهبة ، على وجه (أكرم) وهو يقول فى تردد :

ـ ولكنها منطقة مخيفة ، فهل يمكن أن تخاطر الأسماك بالمجىء إلى هنا ؟!

أطلق (ياسر) ضحكة عالية ، وقال :

ـ بالطبع .. هذه أفضل منطقة ، تأتى إليها الأسماك .

قالها وبدأ فى إعداد قصبة الصيد ، وهو يستطرد :

ـ ستختار الأسماك هذه المنطقة بالذات ، وهى تتصوّر أن أحدًا لن يزعجها ، ولهذا أسعدنى كشف هذا المكان ، الذى يبعد أربعة كيلو مترات فحسب ، عن قاعدة (رأس التين) البحرية ، وهنا سيمكننا تحطيم الرقم القياسى فى الصيد .

لم يفهم (أكرم) سر حماس صديقه ، ولكنه اكتفى بحمل قصبه الصيد الصغيرة ، التى أحضرها معه ، وألقى خيطها فى الماء ، منتظرًا سقوط إحدى الأسماك المارة فى خطّافه ، فى حين بدت قصبه (ياسر) أكثر تعقيدًا وأكبر حجمًا ، وهو يضيف إليها آلة صيد خاصة ، ويعلّق فى خطّافها لعبة معدنية صغيرة ، تشبه سمكة متألّقة ، قبل أن يلقى الخيط إلى أبعد مسافة ممكنة ، ويجلس فوق صخرة قريبة ، قائلًا فى حماس :

ـ سترى أننا سنملأ سيارتنا بالأسماك ، قبل مغيب الشمس .

لم يعلّق (أكرم) ولكنه ركّز انتباهه كله على قصبة صيده ، وانتظر .. وطال الانتظار ..

طال أكثر مما ينبغى ، حتى أن الشمس قد توسّطت كبد السماء ، قبل أن ينجح أحدهما فى صيد سمكة واحدة ، مما أصاب (أكرم) بضجر لا حدود له ، جعله يرفع خيط قصبته من الماء ، وهو يقول :

ـ سأكتفى بهذا القدر .

التقى حاجبا (ياسر) فى ضيق ، وهو يقول :

ـ عجبًا !! .. ماذا أصاب هذه الأسماك ؟ .. لقد كنا نصطاد الكثير منها ، فى مناطق عادية للغاية .

ألقى (أكرم) نظرة أخرى على المنطقة ، التى فقدت الكثير من رهبتها ، مع سطوع الشمس ، وقال :

ـ قلت لك إن الأسماك تخاف القدوم إلى هنا .

ألقى (ياسر) قصبته جانبًا ، وهو يقول :

ـ كلام فارغ .

ثم نهض إلى سيارته ، والتقط من داخلها جهازًا صغيرًا ، يشبه أجهزة التسجيل الشخصية ، وهو يتابع فى حماس :

ـ ربما كانت هناك عوامل بحرية ، تبعد الأسماك عن هنا .

وحمل الجهاز إلى حيث يجلس صديقه ، مستطردًا :

ـ وسنكشف هذا على الفور .

سأله صديقه فى شغف ، وهو ينظر إلى الجهاز :

ـ ماهذا ؟ .. جهاز تسجيل ؟ ..

أجابه (ياسر) :

ـ بل هو جهاز خاص ، صنعته ليشبه أحد أجهزة غواصاتنا ، ومهمته هى التقاط ذبذبة الأجسام المتحرّكة ، تحت سطح الماء .

سأله (أكرم) فى دهشة :

ـ وفيم يفيدنا هذا ؟

أجابه (ياسر) فى حدة :

ـ سنعلم على الأقل إذا ماكانت هناك أسماك فى المنطقة أم لا .

وضع الجهاز فوق صخرة قريبة من البحر ، وأخرج منه ميكروفونًا حساسًا ، أدلاه بوساطة سلك متصل بالجهاز فى البحر ، ثم ضبغط أحد أزرار الجهاز ، وقال :

ـ هكذا نقاتل تلك الأسماك اللعينة بالطرق العلمية .

تطلّع (أكرم) إلى الجهاز فى اهتمام ، وهو يسأله :

ـ وماذا سيفعل الجهاز بالضبط ؟

أجابه (ياسر) فى ترقّب :

ـ ستسمع الذبذبة التى يطلقها ، عندما يلتقط حركة سرب أسماك ، أو .. بتر عبارته ، عندما انطلق أزيز منتظم من الجهاز ، وهتف فى حماس :

ـ أرأيت ؟ .. ها هوذا يـ ..

بتر عبارته مرة أخرى فى حركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يصغى إلى الأزيز فى اهتمام شديد ، جعل (أكرم) يسأله :

ـ أهو سرب ضخم إلى هذا الحد ؟

أشار إليه (ياسر) فى صرامة ، طالبًا منه الصمت ، ثم واصل الإصغاء إلى الأزيز فى انتباه كامل ..

وحاول (أكرم) الإصغاء إلى الأزيز المنتظم بنفس الاهتمام والانتباه ، إلا أنه لم يفهم سر ذلك القلق ، المرتسم على وجه (ياسر) ..

كل ما لاحظه هو أن الذبذبة منتظمة للغاية ، وأنها عبارة عن مقطع واحد ، يتكرّر على نحو ثابت رتيب ، مع لحظة صمت بين كل تكرار وآخر ..

ومضت دقيقة كاملة ، و (ياسر) يستمع إلى الذبذبة فى اهتمام ، قبل أن يقول فى صوت يشفّ عن خطورة الأمر :

ـ يا إلهى ! ..

ارتجف (أكرم) للطريقة التى نطق بها (ياسر) الكلمة ، وسأله فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

جذب (ياسر) الميكروفون من الماء ، وحمل الجهاز فى توتر شديد ، ووضعه فى سيارته ، ثم أخذ يلملم أدوات الصيد فى عصبية ، دون أن يجيب سؤال (أكرم) ، الذى هتف مرة أخرى ، وهو يحمل قصبة صيده بدوره :

ـ ماذا وجدت ؟

قفز (ياسر) خلف عجلة قيادة سيارته ، وهو يقول :

ـ الأمر بالغ الخطورة يا (أكرم) .

قال (أكرم) فى اضطراب ، والسيارة تنطلق ، مبتعدة عن المنطقة المقفرة :

ـ ماهو هذا الأمر بالضبط ؟

أجابه (ياسر) فى توتر :

ـ هذه الذبذبة لاتخصّ سربًا من الأسماك ، بل هى أكثر انتظامًا وتكرارًا .

سأله (أكرم) فى خوف :

ـ ماهى إذن ؟

صمت (ياسر) لحظة ، انعقد خلالها حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ نداء .. نداء من جسم ما ، يرقد فى الأعماق .

واكتسب صوتهَ صرامة رهيبة ، مع استطرادته :

ـ نداء استغاثة ..

★ ★ ★

تطلّع قائد قاعدة (رأس التين) البحرية ، إلى المهندس (ياسر) ، طويلًا فى صمت صارم ، قبل أن يقول فى صوت حازم قوى :

ـ لماذا لم تلتقط أجهزة القاعدة نداء الاستغاثة هذا أيها المقدّم ؟

كان (ياسر) مهندسًا أوّل لإحدى غواصاتنا الحربية ، وواحدًا من أكثر مهندسى القوات البحرية استقامة وإخلاصًا ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان البلاغ ، الذى تقدّم به للقيادة عجيبًا ، مثيرًا للقلق والتوتر ، لذا فقد ألقى عليه قائد القاعدة السؤال السابق ، الذى أجابه (ياسر) فى انفعال واضح :

ـ لست أدرى لماذا لم تستقبل أجهزة القاعدة تلك الذبذبة يا سيّدى ، ولكن جهازى استقبلها فى وضوح ، ولدى شاهد مدنى على هذا .

قال القائد فى خشونة :

ـ لا شأن للمدنيين بعملنا .

وانبرى رئيس سلاح الإشارة ، يسأل (ياسر) :

ـ ألا يُحتمل أن تكون الذبذبه مجرّد حركة منتظمة لسرب من الأسماك ؟

هزّ (ياسر) رأسه نفيًا فى حزم ، وقال :

ـ لا يا سيّدى ، هذا غير محتمل على الإطلاق ، فالذبذبة الناشئة عن حركة سرب الأسماك ، لاتكون أبدًا منتظمة إلى هذا الحد .

ثم أضاف فى تصميم شديد :

ـ إنه نداء استغاثة يا سيّدى .. نداء يُطلقه جسم ما فى الأعماق .. لا يمكننى أن أخطىء هذا النداء أبدًا ، على الرغم من أنه يختلف كثيرًا عن نداء الاستغاثة العالمى(*) ، أو حتى عن ذلك الذى نستخدمه .. لقد سمعت هذه النداءات مئات المرات ، عبر كل المناورات البحرية ، التى شاركت فيها .

سأله قائد القاعدة :

ـ وما الذى يعنيه هذا النداء أيها المقدّم ، لو أنه لا يخصّ غواصاتنا ؟

بدا التوتر على وجه (ياسر) ، وهو يجيب :

ـ ربما يخصّ غواصة معادية .

(★) نداء الاستغاثة العالمى (S.O.S) ، وهو اختصار لعبارة انجليزية ، تعنى (انقذوا أرواحنا) ، وهو يستخدم فى كل الأحوال ، بإشارات (مورس) ، سواء بإشارات صوتية أو ضوئية .

فجّر جوابه تلك القنبلة ، الرابضة فى أعماق الجميع ، منذ بداية الاستجواب ، فالتقت كل العيون بنظرة ملؤها القلق والتوتر ، قبل أن يقول القائد فى حدة :

ـ وكيف تصل غوّاصة معادية إلى هنا ، دون أن نشعر بهذا ؟

لوّح (ياسر) بكفه ، قائلًا فى انفعال :

ـ ربما استخدمت استراتيجية جديدة ، أو اتخذت مسارًا شديد التعقيد ، لتفادى أجهزة السونار ، وسفن الحراسة ، ودوريات السواحل .. المهم أنها بلغت سواحلنا ، أيًا كانت الوسيلة ، التى استخدمتها لهذا .

وهمس قائد دوريات السواحل ، فى أذن القائد :

ـ لا يمكننا إهمال هذا الاحتمال .

أومأ القائد برأسه إيجابًا ، وقال بصوت سمعه الجميع :

ـ لا يمكننا إهمال الاحتمال بالطبع ، ولهذا أصدرت أوامرى ، فور سماعى بالأمر ، إلى رجال الضفادع البشرية ، بفحص المنطقة كلها ، وتصوير كل ما يثير الشبهات ، كما أمرت ثلاثا من مدمراتنا وستة من زوارق الطوربيدات ، بالتواجد فى المكان ، وعمل دوريات دائمة به ، حتى يتمّ حسم الأمر .

تنفس (ياسر) الصعداء ، وقال :

ـ هذا عظيم يا سيّدى .. عظيم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص للقائد ، فالتقطه هذا الأخير ، ووضعه على أذنيه ، واستمع إلى محدّثه فى اهتمام واضح ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـ هذا أفضل .. كنت أتوقّع ذلك .

وأعاد سمّاعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يتطلّع إلى (ياسر) ، قائلًا فى حزم :

ـ لقد تمّ فحص كل شبر بالمنطقة .

سأله (ياسر) فى لهفة :

ـ وما الذى عثروا عليه ؟

ضاقت المسافة بين حاجبى القائد ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لم يعثروا على شىء أيها المقدّم .. لم يعثروا على أدنى أثر لأى شىء ..

وكانت مفاجأة لـ (ياسر) ..

مفاجأة حقيقية .

* * *

٢ ـ الحيرة ..

لو أن القوات البحرية قد فحصت المنطقة شبرًا شبرًا ، فمن المؤكد أن (ياسر) قد فحص بدوره كل التقارير الواردة ، عن هذا الأمر ، حرفًا حرفًا ..

لقد قضى ليلته كلها ، من غروب الشمس ، وحتى مطلع الفجر ، يدرس كل نتائج البحث ، من تقارير وصور وإشارات مسجلة للسونار(*) ، حتى شعر بإرهاق عصبى وجسدى شديد ، جعله ينهار على مقعده ، مع شروق الشمس ، فتطلّع إليه زميله المهندس (حسن) فى إشفاق ، وهو يقول :

ـ ألم تقتنع بعد ، بأنها كانت إشارة كاذبة ؟

هزّ (ياسر) رأسه ، وهو يقول فى عناد :

ـ تقارير الدنيا كلها لن تنجح فى إقناعى بهذا .

أشار (حسن) إلى التقارير والصور ، وهو يقول :

ـ ولكنك راجعت كل شىء بنفسك .. دوريات الحراسة لم تعثر على شىء ، ورجال الضفادع البشرية التقطوا عشرات الصور للأعماق ، وكلها لا تحوى سوى الصخور ، والشعب المرجانية والأسماك ، والسونار لم يلتقط أية حركة مريبة ، وحتى أجهزة كشف ذبذبات الأعماق ، لم تلتقط أية إشارات غامضة .

هتف (ياسر) ، وهو يلوّح بكفه :

(*) السونار : كاشف الأعماق ، يشبه عمله الرادار ، من حيث إرسال الموجات واستقبالها ، بعد ارتدادها عن الأجسام ، ولكنه يعمل تحت الماء فقط .

ـ ولكننى سمعت تلك الذبذبة بنفسى .

تنهّد (حسن) فى أسف ، وقال :

ـ هكذا أنت دائمًا .. عنيد وصعب المراس .. إنك تفسد حياتك كلها بأسلوبك هذا .. أنسيت كيف فسخت خطبتك مرتين ، بسبب عنادك هذا ؟

قال (ياسر) فى ضيق :

ـ لم يكن هذا بسبب العناد ، وإنما لأن الفتاتين لم يمكنهما فهمى فى المرتين .

هتف (حسن) :

ـ لأن شخصيتك عسيرة الفهم بالفعل .. إنك تريد العيش كما لو كنت تقيم فى المدينة الفاضلة .. تصرّ على التعامل مع كل الأمور فى استقامة وحزم .

صاح (ياسر) فى غضب :

ـ وهل أصبح ذلك أمرًا عسيرًا على الفهم فى هذه الأيام ؟

أجابه (حسن) فى حدة :

ـ لقد أصبح كذلك بالطبع ، فالمجتمع لم يعد مباشرًا ، كما كان فى الماضى .. الانفتاح وصراع المادة أفسدا كل شىء .. لم تعد الشهامة والأخلاق هى معيار الرجولة الحقيقى ، بل صار المال هو الفيصل فى كل الأمور ..

صاح (ياسر) :

ـ خطأ .. أكبر خطأ .. لو ساد هذا المعيار حياتنا فسنخسر كل شىء .. سنخسر حاضرنا ومستقبلنا ، وحضارتنا وقيمنا .

هتف (حسن) :

ـ لقد خسرنا كل هذا بالفعل .

صرخ (ياسر) :

ـ مستحيل !

هزَّ (حسن) رأسه فى أسف ، وقال :

ـ ربّما لم نبلغ هذا الحد المؤسف بعد ، ولكننا لم نعد نحيا أيضًا فى عصر الفرسان .. عد إلى رشدك وواقعك يا صديقى ، ولا تبن أحلامك كلها فى عالم الخيال .

بدا التوتر البالغ على وجه (ياسر) ، وهو يقول :

ـ لن أحتمل العالم من حولى ، لو لم أفكر بهذا الأسلوب .

تنهدَ (حسن) ، وقال :

ـ أنت وشأنك .

قالها وانصرف ، تاركًا (ياسر) وحده ، يسترجع بعض أحداث حياته الماضية ..

لقد اضطر إلى فسخ خطبته مرتين بالفعل ..

وفى المرتين كانت المادة هى السبب ..

صحيح أنه ضابط بالقوات البحرية ، يمتلك شقة وسيارة ، منحته إياهما مهنته ، بمقدَم بسيط ، وأقساط معقولة ، ولكن هذا لا يعنى أنه ثرى ، فقد نشأ يتيمًا ، فى أسرة عادية ، والأقساط تبتلع الجزء الأكبر من راتبه ..

ومتطلبات خطيبتيه كانت أكبر كثيرًا من قدراته ..

لم تهتم إحداهما بأخلاقه أو مهنته ، بل تركز اهتمامهما على إمكانياته المادية فحسب ..

وهذه الإمكانيات محدودة للغاية ..

كما أن خلافهما كان يمتد إلى أسلوبه فى التعايش مع الآخرين ..

كان مهذبًا ، بسيطًا ، لا يميل إلى اغتصاب حقوق الآخرين ، أو الاستهتار بها ، فى حين رأت خطيبتاه أن هذه الصفات تعنى أنه انسان تافه

متخاذل ، لا يصلح لاقتحام مصاعب الحياة ، ومشاكلها ..

وكان لابد من فسخ الخطبة فى الحالتين ..

مع خلاف جوهرى كهذا ، يمسّ طبيعته الشخصية ، وأسلوبه فى التعامل مع العالم من حوله ، كان الانفصال حتميًا ..

زفر فى حرارة ، وهو يُغلق عينيه فى عمق ..

إنه يتمنى بالفعل أن يحيا فى مدينة فاضلة ..

فى (يوتوبيا)(*)

الجميع يعرفون أحلامه هذه ..

وكلهم يسخرون منها ..

ولكنه لا يبالى بسخريتهم هذه ..

إنها أحلامه ..

وهذا شأنه ..

منذ حداثته وهو يحلم بتلك المدينة الفاضلة ، حيث يسود السلام والهدوء والأمان ، وتكون الثقة هى وثيقة التعامل بين الجميع ، وسمو الأخلاق هو الفيصل فى كل الأمور ..

مدينة الصدق والعدل والسعادة ..

، إنك تحتاج إلى النوم يا سيادة المقدّم .. ، ..

انتزعته العبارة من أحلامه ، ووجد صعوبة فى فتح جفنيه ، ليتطلّع إلى

(*) يوتوبيا : كلمة يونانية ، بمعنى (اللامكان) ، ولقد ورد ذكرها ـ لأوّل مرة ـ فى تاريخ الأدب ، كعنوان لكتاب من كتب (توماس مور) ، وصف فيه دولة مثالية ، تخلو من الآثام والشرور ، وتحققَ السعادة لسكانها ، وأصبحت الكلمة فيما بعد مرادفًا للمدينة الفاضلة ، بعد أن أضافها (توماس مور) للأدب ، عام ١٥١٦م .

جندى المراسلة الخاص به ، قبل أن يعتدل قائلًا :

ـ أنت على حق يا (محمد) .. سأعود إلى منزلى ، فقد قضيت الليل كله ساهرًا .

ونهض مستطردًا فى اهتمام :

ـ ألديك فكرة عما قرّره القائد ، بشأن تلك المنطقة ؟

أجابه الجندى ، وهو يعاونه على ارتداء سترته :

ـ لقد أصدر أوامره باستمرار عمل الدوريات ، لثلاثة أيام أخرى ، قبل أن تتوقّف عمليات البحث .

تنهّد (ياسر) فى ارتياح ، وغمغم :

ـ هذا أفضل .

ألقى نظرة أخرى على تلك الصور ، التى التقطها رجال الضفادع البشرية لأعماق المنطقة ، ثم جمعها ليضعها فى جيبه ، مغمغمًا :

ـ لن يضير لو ألقيت عليها نظرة أخرى .

ابتسم الجندى مشفقًا ، وهو يعلم أن (ياسر) قد فحص هذه الصور عشر مرات من قبل على الأقل ..

ولكن هذه طبيعته ..

إنه شديد المراس ، لا يتنازل عن آرائه وقراراته فى سهولة ..

ولقد كان من المستحيل ـ تقريبًا ـ أن يتراجع (ياسر) عن رأيه ، فى هذه القضية بالذات ..

لقد سمع النداء بنفسه ..

هذا مامِلأ ذهنه ، وهو يقود سيّارته ، عائدًا إلى منزله ..

إنه واثق من وجود أمر ما ..

هناك حتمًا ما أرسل هذا النداء ..

وهذه الاستغاثة ..

لم يتوقّف عن التفكير فى الأمر ، حتى بلغ منزله ، فأوقف سيارته أمامه ، ورأى صاحب المتجر الصغير يرمقه بنظرة غاضبة محنقة ، وكأن توقّف السيارة أمام متجره يغلق فى وجهه أبواب الرزق ، فعاد يقود السيارة لمتر آخر ، متفاديًا مدخل المتجر ، وغادرها إلى شقته ، فى الطابق الثانى ، حيث يقيم وحده ، وهناك ارتدى منامته ، والتقط واحدة من روايات الخيال العلمى ، التى تملأ مكتبته ، وراح يقرأها فى صمت ، طلبًا للنوم ..

ولكن ذهنه عاد يسترجع تفاصيل الصور والتقارير ، وكأنما لم تعد لديه من أفكار سوى هذه ..

وفجأة راوده شعور عجيب ..

هناك شىء ما ، فى الصور والتقارير ..

شىء انتبه إليه عقله الباطن ، وإن لم تلاحظه عيناه ، أو ينتبه إليه عقله الواعى ..

أزاح الرواية جانبًا ، وحاول أن يتنكّر ذلك الشيء ، ولكنه عجز تمامًا عن هذا ، فنهض يلتقط الصور مرة أخرى من جيبه ، ويعيد فحصها فى اهتمام أكثر ..

وفجأة توقف عند صورة خاصة ..

صورة بدت له وكأنها تحمل شيئًا عجيبًا ..

ولثوان ، تطلّع إلى الصورة ، قبل أن يهتف فجأة بكيانه كله :

ـ بالتأكيد .. هذا هو .

كان قد شاهد تلك الصور عشر مرات من قبل ، ولكنها أوّل مرة ينتبه فيها إلى هذا الشيء ..

فلى كل الصور ، كانت تظهر فى الأعماق كتل من الصخور ، نمت فوقها بعض الأعشاب البحرية والطحالب ، وتسبح إلى جوارها بعض الأسماك الصغيرة ..

فيما عدا هذه الصخرة الضخمة ..

كانت صخرة من كتلة واحدة ، تحتلّ منطقة كبيرة من الأعماق ، دون أن ينمو فوقها عشب واحد ، أو تقترب منها سمكة واحدة ..

لم تكن تلتصق بسطحها حتى بعض الطحالب الصغيرة ، أو ينبت أسفلها عشب مرجانى واحد ..

وبرقت عينا (ياسر) فى ظفر ..

ها هو ذا الدليل ، الذى يبحث عنه ..

وبكل حماس ، قفز إلى سمّاعة الهاتف ، فالتقطها ، وأدار رقم هاتف زميله (حسن) ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى صاح فى نصر واضح :

ـ أخيرًا وجدتها .. وجدتها يا (حسن) .

سأله (حسن) ضاحكًا ، عبر أسلاك الهاتف :

ـ ما هذه التى وجدتها يا (أرشميدس) ؟(*)

هتف به :

ـ الخدعة يا (حسن) .. الخدعة التى أخفت عنا الأمر .. لقد كشفتها .

صاح (حسن) بكل دهشته :

ـ الخدعة ؟! .. أية خدعة ؟

أجابه (ياسر) فى حماس :

ـ الخدعة التى لجأ إليها الأعداء ، لإخفاء غوّاصتهم المعادية عن رجالنا ..لقد عثرت عليها فى الصور ، و ..

وفجأة انتبه إلى تلك الحركة الخافتة خلفه ..

واستدار فى سرعة ..

ولكن تلك الوخزة أصابت عنقه ..

وأحاط به ذلك الضباب الكثيف بسرعة مذهلة ، و ..

وسقط ..

سقط فى غيبوبة عميقة ..

غيبوبة سيطرت على عقله كله فى لحظة واحدة ، بحيث لم يذكر منها سوى أنه حاول التشبث بمنضدة الهاتف ، فسقط فوقها ، و ..

وتلاشى إحساسه بكل شيء ..

« (ياسر) .. استيقظ يا (ياسر) .. »

تسلّلت الكلمة إلى عقله فى نعومة ، ففتح عينيه فى بطء ، وطالعه وجه (حسن) ، وهو ينحنى نحوه فى قلق ، فتمتم :

(*) أرشميدس (٢٨٧ ـ ٢١٢ ق.م) : مخترع ورياضى وفيزيقى إغريقى ، صاحب عدد من أشهر القواعد العلمية ، مثل قاعدة الطفو ، المعروفة باسمه ، وقاعدة الروافع ، ومن أشهر مخترعاته طنبور (أرشميدس) .

ـ (حسن) .. حمدًا لله .

نهض فى صعوبة ، معتمدًا على يد (حسن) ، وأدهشه أنه يرقد فى فراشه ، وإلى جواره رواية الخيال العلمى ، التى كان يطالعها ، فهتف :

ـ من جاء بى إلى هنا ؟.. لقد كنت أتحدث إليك هاتفيًا ، عندما باغتنى شخص ما من الخلف ، ووخزنى بشىء مافى عنقى ، ففقدت الوعى ، وارتطمت بالهاتف ، و ..

بتر عبارته فى دهشة ، وهو يحدق فى الهاتف ، الملقى فوق الفراش ، متصلًا بوصلته المجاورة له ، فهتف (ياسر) مرة أخرى :

ـ من أتى بالهاتف هنا ؟.. لقد كنت أتحدث معك من الردهة ، و ..

قاطعه (حسن) هذه المرة ، وهو يقول فى إشفاق :

ـ (ياسر) .. أنت مرهق للغاية .

حدق (ياسر) فى وجهه لحظة ، ثم ردد فى حيرة :

ـ مرهق ؟!

لم يع عقله الموقف لحظات ، ثم لم يلبث أن هتف محنقًا :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا .. إننى مستيقظ تمامًا ، وفى كامل قواى العقلية والذهنية ، ولقد اتصلت بك ، لأخبرك عن ذلك الكشف ، الذى عثرت عليه ، فى الصور التى التقطها رجال الضفادع البشرية ..

وتلفت حوله هاتفًا :

ـ أين الصور ؟.. لقد سرقوها .. أراهن أنهم سرقوها .

التقط (حسن) الصور فى هدوء ، من فوق المنضدة المجاورة للفراش ، وهو يقول فى تعاطف :

ـ ها هى ذى الصور يا (ياسر) .

اختطف (ياسر) الصور من يده فى لهفة ، وقلبها بين أصابعه فى

سرعة ، ثم التقط من بينها صورة الصخرة الكبيرة ، وناولها لـ (حسن) ، هاتفًا :

ـ انظر .. انظر جيدًا إلى تلك الصورة .. هل رأيت فى حياتك كلها صخرة بهذا الحجم ، لم تنبت فوقها حزمة واحدة من الأعشاب البحرية ، أو تتخذ سمكة واحدة من فجواتها مسكنًا .. هل رأيت هذا قط ؟

تطلع (حسن) إلى الصورة لحظات ، ثم أعادها إلى (ياسر) ، قائلًا :

ـ أنت مرهق بالفعل يا (ياسر) .

صاح به (ياسر) فى حنق :

ـ ماذا تعنى ؟

اختطف الصورة من يده ، وتطلع إليها فى حدة ، ثم اتسعت عيناه فى ذهول ..

لم تكن هذه حتمًا هى نفس الصورة ، التى رآها قبل أن يفقد وعيه ..

صحيح أنها ملتقطة بنفس الزاوية ، لنفس الصخرة الكبيرة ، ولكن فى هذه الصورة ، التى يمسكها بين أصابعه ، كانت الطحالب تغطى الجزء الأكبر من الصخرة ، والأعشاب البحرية تنبت أسفلها فى غزارة ، وسرب من الأسماك الحمراء الصغيرة يسبح أمامها ..

وطوح (ياسر) الصورة جانبًا ، وهو يصرخ :

ـ إنها نفس الصورة .. لقد استبدلوها حتمًا بأخرى ..

زفر (حسن) فى إشفاق ، وربت على كتف (ياسر) ، قائلًا :

ـ كفى يا (ياسر) .. من الواضح أن كل هذا مجرد حلم .

هتف (ياسر) مستنكرًا :

ـ حلم ؟!

أجابه (حسن) فى حزم :

ـ نعم يا (ياسر) .. لقد قضيت ليلتك ساهرًا ، تفكّر فى هذا الأمر ، وتطالع الصور والتقارير عشرات المرات ، وعندما عدت إلى هنا ، أويت الى فراشك ، وحاولت أن تقرأ رواية من روايات الخيال العلمى ، كعادتك قبل النوم ، ولكنك استغرقت فى النوم ، دون أن تدرى ، وحلمت بكل هذا .

صاح (ياسر) :

ـ لم يكن هذا حلمًا .. بل كان حقيقة .

أجاب (حسن) :

ـ هذا ماصوّره عقلك الباطن ، الذى دفعك إلى السير فى أثناء نومك ، وأخذ الصور ، والهاتف ، والاتصال بى ، وكأنك قد توصّلت إلى الحل ، الذى لم تفلح فى التوصّل إليه فى يقظتك .

هتف (ياسر) معترضًا :

ـ مستحيل ! .. هذا رأيك الشخصى ، أما أنا ، فلست أتصوّر أبدًا أن أسير فى أثناء نومى ، وأفعل كل هذا ، لمجرّد رغبتى في إثبات صدق روايتى .. إننى لم أسر أثناء نومى قط ، فلماذا أفعل هذا الآن ؟

أجابه (حسن) فى تعاطف :

ـ ربما لأنك لم تتعرّض لكل هذه الضغوط من قبل .

عقد (ياسر) حاجبيه ، وهو يقول فى عناد :

ـ لا يوجد دليل واحد على هذا .

تراجع (حسن) ، وهو يقول :

ـ ومن أدراك ؟

تطلّع إليه (ياسر) فى دهشة ، متمتمًا :

ـ ماذا تعنى ؟

سأله (حسن) فى صوت جاف :

ـ إننى لم أفتح باب شقتك ، فكيف تظننى دخلت إليها ؟ .. من فتح لى الباب فى رأيك ؟

سأله (ياسر) فى حذر وتوتر :

ـ من فعلها ؟

مال (حسن) نحوه ، وقال فى حزم :

ـ أنت يا (ياسر) .. أنت فتحت لى الباب بنفسك .

وكانت مفاجأة جديدة لـ (ياسر) ..

مفاجأة أكثر قسوة .

* * *

٣ ـ الدليل ..

قضى (ياسر) ساعة كاملة ، بعد انصراف (حسن) ، وهو عاجز عن فهم ماحدث ..

وفى مرارة ، راح يسترجع تفاصيل ذلك الحديث ، الذى دار بينه وبين (حسن) ، عندما أخبره هذا الأخير عن سيره وهو نائم ..

لقد سأله ـ عندئذ ـ فى ذهول :

ـ أنا ؟! .. أنا فتحت لك الباب بنفسى ؟!

أومأ (حسن) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا (ياسر) .. أنت فعلت ..لقد هرعت إلى هنا ، والرعب يملأ كل ذرة من كيانى ، إثر محادثتك الهاتفية المبتورة ، وعندما وصلت إلى هنا رحت أطرق الباب فى قوة ، وفوجئت بك تفتح الباب ، وأنت نصف نائم ، ثم تسير أمامى إلى حجرة نومك ، وتدسّ جسدك تحت أغطية الفراش ، ثم تذهب فى نوم عميق .

ردّد (ياسر) مرة أخرى فى ذهول :

ـ أنا ؟ .. أنا فعلت هذا ؟

راح يردّد لنفسه هذه العبارة ، حتى بعد انصراف (حسن) ، وامتلأت نفسه بقدر هائل من الحيرة ، نبش كل خلية من خلاياه ، وهو يعيد التطلّع إلى الصورة مرات ومرات ..

أكل هذا مجرّد حلم حقًا ؟ ..

أمن الممكن أن يكون كذلك ؟ ..

وقف للمرة العاشرة أمام المرآة ، يبحث دون جدوى عن أثر لتلك الوخزة ، التى أصابته فى عنقه ، وأفقدته الوعى ، ثم لم يلبث أن تمتم ، بلهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ إذن فهو حلم .. يا إلهى ! ..

ألقى نفسه فوق فراشه ، وهو يشعر بدوار شديد ، من فرط التوتر والانفعال ، وفتح عينيه على اتساعهما فى مرارة ، وهو يتطلّع إلى مكتبته الصغيرة ، المجاورة للفراش ، فى شرود وحيرة ..

وفجأة انتبه إلى أمر ما ..

لم تكن الروايات فى مكتبته مصفوفة ، على نفس النحو الذى يصفّها هو به ..

نهض فى حركة حادة ، يفحص الروايات فى اهتمام ..

نعم .. هناك من عبث بهذه الروايات حتمًا ..

هناك من طالعها ، ثم أعادها إلى المكتبة ، دون أن ينتبه إلى أنه هو يستخدم نظامًا خاصًا لترتيبها ، اعتمادًا على أسماء المؤلفين ، وأحجام الكتب ..

لقد انتقلت رواية من الطرف إلى المنتصف ، وأخرى من الجانب الأيمن إلى الأيسر ، وثالثة من ..

ولكن من أدراه أن غريبًا فعل هذا ..

لم لا يكون هو الذى أعاد ترتيب الكتب ، فى سيره فى أثناء نومه ، كما فتح الباب لـ (حسن) ..

ومرة أخرى دار رأسه فى حيرة وتوتر ..

إنه لم يعد يمتلك المقدرة على تمييز الحقائق من الخيال ..

لم يعد يدرك ماحدث فى الواقع ، ومارآه فى أحلامه ..

وفى مرارة ، وجد نفسه يبتسم ..

أليس هذا ماكان يسعى إليه ؟ ..

أن يحيا فى عالم من الخيال ..

ها هوذا قد سقط ، على الرغم منه ، فى عالم الخيال ..

شعر بغصة فى حلقه ، منعته من النوم ، فنهض يرتدى ثيابه ، وقرّر أن يخرج ليسير قليلًا على كورنيش البحر ، عسى أن ينتزع منه هذا بعض توتره وانفعاله ..

إنه واثق من أنه لم يكن يحلم ..

ولكنه يحتاج إلى دليل على هذا ..

دليل يؤكّد له هو ، قبل أن يؤكّد للآخرين ، أن مارآه لم يكن حلمًا ..

هبط ليستقل سيارته ، ورأى صاحب المتجر ينظر إليه فى ضيق وغيظ ، لم يحتملهما هذه المرة ، فهتف به :

ـ إننى أضع سيارتى بعيدًا هذه المرة .. أليس كذلك ؟

رمقه الرجل بنظرة نارية ، وهو يقول :

ـ لا شأن لى بسيارتك يا سيادة المقدّم ، ضعها حيثما يحلو لك ، ولكن حافظ على احترام المكان ، الذى تقطنه .

توقّف (ياسر) ، وتطلّع إليه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ احترام المكان ؟! .. وهل أسأت يومًا إلى هذا الاحترام ؟

أجابه الرجل فى حنق :

ـ بالتأكيد .. ولا تحاول الإنكار .. لقد رأيت بنفسى تلك الأجنبية الشقراء ، وهى تغادر شقتك ، منذ ساعة واحدة ..

اتسعت عينا (ياسر) عن آخرهما ..

أجنبية شقراء ..

ومنذ ساعة واحدة ..

وخفق قلبه وسط ضلوعه فى قوة ..

إذن فقد كان هناك شخص فى منزله بالفعل ..

شخص أفقده الوعى ، وأعاده إلى فراشه ، ودفعه ـ بوسيلة ما ـ إلى النهوض نصف نائم ، وفتح الباب لـ (حسن) ..

شخص عبث برواياته ، وأبدل الصورة ..

هذا هو الدليل ..

الدليل الذى يحتاج إليه ..

وفى انفعال جارف ، وسعادة هائلة ، أمسك كتفى صاحب المتجر ، وهتف :

ـ أشكرك يا رجل .. أشكرك كثيرًا .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة ، وهو يحدّق فى وجه (ياسر) ، الذى عاد يصعد إلى شقته ، ثم يهبط منها مرة أخرى ، حاملًا اسطوانة أكسجين ، وزعنفتى أقدام ، وضعها فى حقيبة سيّارته ، وهتف بالرجل مرة أخرى :

ـ لن أنسى جميلك هذا أبدًا .

وعادت عينا الرجل تتسعان فى دهشة ، و (ياسر) يبتعد بسيارته ، ثم لوّح بكفه حول رأسه ، قائلًا :

ـ لقد أصيب ذلك المهندس البحرى بالجنون .. أصيب به حتمًا .

أما (ياسر) ، فقد استعاد ثقته بنفسه كاملة ، وهو ينطلق بسيارته غربًا ..

كان يعلم جيدًا أن هذا الدليل لا يكفى لإقناع رؤسائه ، ولكنه كان كافيًا لإقناعه هو ، ودفعه إلى اتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن ..

سيخوض المعركة وحده ..

وسيثبت أنه على حق ..

مهما كان الثمن ..

انطلق بسيارته ، حتى بلغ قاعدة (رأس التين) البحرية ، ودار حولها ، ليواصل انطلاقه لأربعة كيلو مترات أخرى ، قبل أن يتوقف فى تلك المنطقة المقفرة ..

وفى حماس ، تطلع إلى الأمواج الهادئة ، التى تضرب الصخور فى نعومة ، وقال :

- ارتجفى أيتها الأعماق .. لقد وصل (ياسر) .

نطقها بكل ماينبض فى عروقه من قوة وحماس ، وخُيِّل إليه أن الأعماق قد ارتجفت بالفعل ، وأن الأمواج قد صارت أكثر قوة ، تضرب الصخور فى عنف ، فانثنى يخلع ثيابه ، ويرتدى أسطوانة الأكسجين ، وزعنفتى الأقدام ، ثم يغوص فى مياة البحر ..

عالم آخر ساحر ، انتقل إليه فى لحظات ..

عالم فريد ، لا يعرفه إلا من اعتاد الغوص ..

واعتاد الأعماق ..

وفى خفة تنافس الأسماك ، راح (ياسر) يسبح تحت الماء ، باحثًا عن تلك الصخرة ..

وفى هذه المرة ، لاحظ شيئًا عجيبًا بالفعل ..

لم تكن هناك أسماك فى الأعماق ..

كل الأسماك بدت وكأنها قد فرّت لسبب ما ، وتركت المنطقة كلها خالية ، وكأنها تخشى الاقتراب منها ..

لهذا لم ينجح فى اصطياد سمكة واحدة ، عندما جاء إلى هذه المنطقة ، فى الصباح السابق ..

تضاعف حماسه ، وتضاعفت ثقته فى وجود أمر مريب ، مع كل مايلاحظه من اختلافات بيئية بالمنطقة ، وأخذ يبحث عن الصخرة المنشودة فى اهتمام بالغ ..

وأخيرًا لمحها ..

بدت من بعيد ، كتلة صخرية واحدة ضخمة ، نبتت فوقها بعض الطحالب ، والأعشاب البحرية الأخرى ، فسبح نحوها فى اهتمام ، حتى بلغها ، ثم مد يده يلتقط بعض الأعشاب ..

وابتسم فى ظفر ..

لقد صحّ ماتوقّعه ، فلم تكن الأعشاب كائنات بحرية حقيقية ، بل كانت مجرّد نباتات وأعشاب صناعية ، تم وضعها هنا للتمويه ..

وملمس الصخرة نفسها لا يشبه ملمس الصخور الحقيقية ..

كانت مصنوعة من مادة أشبه بالبلاستيك ، أو باللدائن الصناعية ، تجمع بين الليونة والصلابة ، فى مزيج عجيب ، لم يألف مثله من قبل ..

وفى أعماقه انطلقت صيحة ظفر قوية ..

ها هوذا أقوى دليل ، يمكنه الحصول عليه ..

ها هوذا ..

توقفت أفكاره فجأة ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء الضخم ، الذى خرج من خلف الصخرة ..

لقد كان ذلك الشيء وحشا ..

وحشا أسطوريًا هائلًا ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (ياسر) ، فى رعب وذهول ، وهو يحدّق فى ذلك الوحش البحرى الرهيب ، الذى خرج من خلف الصخرة كثعبان هائل ، له عينان فى لون الدم ، وأنياب كسارية مركب صيد ..

وسبح (ياسر) بكل قوته متراجعًا ، والوحش يتموّج فى بطء ، متجهًا إليه مباشرة ..

وكان من الواضح أنه يستطيع افتراسه بحركة واحدة ..

ولم يكن من الممكن أبدًا أن يواجهه (ياسر) ؛ لذا فقد استدار فى سرعة ، وراح يضرب بقدميه وذراعيه ، محاولًا الابتعاد بأقصى سرعة ..

وخُيّل إليه أنه قد قطع نصف البحر ، فى دهر كامل ، قبل أن يستدير ليلقى نظرة مذعورة خلفه ، بحثًا عن ذلك الوحش ..

ولكن الوحش لم يكن هناك ..

بل لم يكن هناك أدنى أثر لوجوده ..

كانت الصخرة قابعة فى مكانها ، وفوقها تلك الأعشاب والطحالب الصناعية ، والماء من حولها هادئ ساكن ، لا أثر فيه لوحش أو خلافه ..

وتوقّف (ياسر) تحت الماء فى دهشة ..

هذا ليس حلمًا حتمًا ..

إنه لم يعد يؤمن حتى بعالم الأحلام هذا ..

لقد رأى هذا الوحش ..

لم يكن واهمًا ..

تردّد لحظة ، ثم عاد يسبح مرة أخرى نحو الصخرة ، ولكن فى حذر أكثر هذه المرة ..

ولكن فجأة ظهر الوحش إلى جواره ..

لم يشعر بقدومه قط ..

بل ولم يشعر حتى بحركته فى الماء ..

كل ماحدث هو أن وجده أمامه بغتة ، كما لو كان قد برز من العدم ..

ورأى الأسنان الهائلة على مقربة منه ..

والفك الشبيه بكهف واسع عميق ..

والعينين الحمراويين بلون الدم ..

ومع الارتجافة الهائلة ، التى سرت فى جسده كله ، انطلق (ياسر) يسبح بكل قواه ، محاولًا الفرار من الأنياب القاتلة ..

وفى هذه المرة لم يتوقف ..

ولم يلتفت خلفه ..

فى هذه المرة راح يسبح بكل قوته ، ويحرّك ساقيه كمروحة هائلة ، وهو ينطلق نحو الشاطئ ..

وعندما بلغ منطقة ضحلة ، خلع حذاءى الغوص ، وانطلق يعدو والمياه تبلغ وسطه ، حتى بلغ الشاطئ الصخرى ، فقفز فوق الصخور ، وانطلق يعدو إلى حيث سيارته ، ثم توقف عندها يلهث فى قوة ، ويلقى نظرة هلعة على البحر ..

ولكن الوحش لم يكن هناك ..

كان كل شىء ساكنًا ، هادئًا كالمعتاد ..

وارتدى (ياسر) ثيابه فى اضطراب كامل ، ثم قفز داخل سيارته ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، عائدًا إلى منزله ..

لم يصدّق أنه نجا من ذلك الوحش الرهيب ..

من أنيابه القاتلة ، و ..

ولكن كيف ؟ ..

وجد نفسه يضغط فرامل سيارته فجأة ، ليوقف السيّارة على نحو مباغت عنيف ، وهى تنطلق فى طريق الكورنيش ..

ومن خلفه سمع صرير إطارات السيارات ، والأبواق الغاضبة لهذا التوقّف المفاجئ ، فلوّح بيده معتذرًا ، وتجاهل عبارات السخط والسباب ، التى انهالت على أذنيه ، وهو يتجه بسيّارته فى بطء إلى جانب الطريق ، ويوقفها ..

كان عقله يلتهب بسؤال واحد ..

كيف نجا من ذلك الوحش ؟ ..

إنه يعلم تمامًا أن سرعة سباحته تحت الماء ، لن تفوق حتمًا سرعة كائن بحرى من نفس حجمه ، مهما بلغت مهارته هو فى هذا المضمار ..

فكيف بوحش هائل الحجم ، كذلك الذى رآه فى الأعماق ؟ ..

لقد كان ذلك الوحش قادرًا على افتراسه فى لحظة واحدة ، فلماذا تركه يهرب ؟ ..

بدا له ذلك الأمر عجيبًا ، منافيًا للمنطق الطبيعى ، فعقد حاجبيه مفكّرًا فيه بعمق ، قبل أن يهتف :

ـ آه .. هذا هو التفسير المنطقى .

تفجّر داخله حماس ظافر جديد ، وهو يستطرد متحدثًا إلى نفسه :

ـ هذا بالضبط ما يحدث فى روايات الخيال العلمى .. صورة هولوجرافية مجسّمة .. نعم .. ذلك الوحش لم يكن سوى صورة هولوجرافية ثلاثية الأبعاد ، أطلقها هؤلاء الذين يختفون خلف الصخرة ، لإرهابى ، وإبعادى عنهم .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد بالفعل .. لهذا كان الوحش يظهر فجأة ، دون أن يهتزّ الماء من حوله ، ولهذا أيضًا لم

يحاول افتراسى، لأنه لم يكن يستطيع افتراسى أبدًا .. إنه مجرّد صورة .. صورة هولوجرافية .

أسعده توصّله إلى ذلك ، فأدار محرّك سيارته مرة أخرى ، وفكّر فى العودة إلى المنطقة المقفرة ، والغوص مرة أخرى إلى الأعماق ، لتحدّى ذلك الوحش ، ولكنه رأى الشمس تميل إلى الغروب ، فغمغم :

ـ فليكن .. سنلتقى مرة أخرى ، مع أوّل أضواء الفجر .

قالها وانطلق بسيّارته ، عائدًا إلى منزله ، وهو يشعر بسعادة ظافرة ، تموج فى أعماقه ، وتدفع مزيدًا من دماء الحماس فى عروقه ، حتى بلغ المنزل ، فأوقف سيارته على مسافة كبيرة من المتجر ، وغادرها ملوّحًا بكفه لصاحب المتجر فى مرح ، ولكن الرجل أشاح بوجهه عنه ، وهو يبسمل ويحوقل ، فتجاهله (ياسر) تمامًا ، وصعد إلى شقته فى حماس ، وفتح بابها وهو يطلق من بين شفتيه صفيرًا مرحًا ، ومدّ يده ليضيىء الردهة ، و ..

وتراجع فجأة كالمصعوق ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فعلى ضوء الردهة ، رآها أمامه ..

رأى تلك الأجنبية الشقراء الشاحبة ، وسمعها تقول فى هدوء شديد :

ـ مساء الخير أيها المقدّم (ياسر) .

وكانت المفاجأة الثالثة .

* * *

٤ ـ الخيال ..

مضت دقيقة كاملة من الصمت ، و (ياسر) يحدّق فى وجه الشقراء فى ذهول ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن .. ولكنك مصرية .

قالت الشقراء فى هدوء :

ـ لا أيها المقدّم .. لست مصرية .

لوّح بكفه ، هاتفًا :

ـ لن يمكنك خداعى .. أنت مصرية .. لن أخطئ لغتك ولهجتك قط .

هزّت كتفيها ، قائلة فى هدوء :

ـ كما يحلو لك .

قال فى حدة ، وهو يشير إلى الباب :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟

ألقت نظرة لامبالية على الباب ، وأجابت :

ـ الأبواب لا تقف حائلًا بيننا وبين ماتريد .

قال فى صرامة :

ـ بالطبع .. كل اللصوص والجواسيس يمكنهم عبور الأبواب فى سهولة .. لقد كنت أنتى التى تسللت إلى هنا ، فى المرة السابقة ، وأبدلت الصورة ، بعد إفقادى وعيى .. أليس كذلك ؟

أجابته فى بساطة أدهشته :

ـ بلى .. هذا صحيح .

هتف :

ـ إذن فأنت تعترفين .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ لا يمكننى الكذب .

حدّق فى وجهها مرة أخرى فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ لا يمكنك ماذا ؟

أجابته فى هدوء مدهش :

ـ لا يمكننى الكذب ، أو الخيانه ، أو الغدر ..قومى كلهم لا يمكنهم هذا ، فنحن نحيا فى عالمنا وفق قانون خاص ، يحكم العلاقة بين الجميع ، فى إطار من الصدق والإخلاص والعدل وحسن الجوار .. هذا هو عالمنا .

ردّد (ياسر) مبهورًا :

ـ عالمكم ؟!

كانت وكأنها تطرح أمامه نفس الصورة ، التى تراود أحلامه منذ صباه ..

صورة (يوتوبيا) ، المدينة الفاضلة ، التى تمنى دائمًا العيش فيها .. مدينة الصدق والسلام والأمان والعدل ..

ولكن لا ..

، مستحيل أن يكون هذا حقيقيًا .. ،

هتف بالعبارة فى وجه الشقراء ، التى ابتسمت قائلة :

ـ لو أنك تتحدّث عن هذا العالم ، الذى تحيا فيه ، فأنت على حق .. من المستحيل أن يوجد مجتمع كهذا فى عالمك ، أما فى عالمنا فالأمر يختلف .. إننا مجتمع مُغلق محدود ، لا وجود فيه لأية تعاملات مالية ، فكل شخص يحصل على مايريد ، وقتما يريد ، مما لا يدع مجالًا للأطماع أو الطموحات الشريرة .. وعندنا لا توجد صراعات ، أو حروب .. بل يوجد مجتمع

واحد ، يحيا فى سلام دائم ، ويحكمه مجلس العلماء والحكماء ، فى عدل مطلق ، وبديموقراطية لا حدود لها ، يحترم فيها كل شخص حقوق الآخرين ، ولا يستطيع فيها أحد الحكّام إيذاء أضعف المحكومين ، لو أن هذا يتجاوز القانون والدين والدستور .

استمع إليها (ياسر) لحظات كالحالم ، ثم لم يلبث عقله أن نفض كل هذا ، وهو يهتف :

ـ أى قول عجيب هذا ؟ .. تتحدثين كما لو أنكم لا تعيشون على سطح الأرض .

أجابته فى هدوء :

ـ هذا صحيح .. إننا لا نحيا على سطح الأرض .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ لا تقولى : إنكم من كوكب آخر ، فلقد سئمت هذا ، فى روايات الخيال العلمى .

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ لا أيها المقدّم (ياسر) .. لسنا نحيا فى كوكب آخر .. إننا ننتمى إلى كوكب الأرض .. وربما قبل أن ينتمى شعبك إليه ، ولكننا لا نحيا على سطحه .

سألها فى تردّد وشك :

ـ أين تعيشون إذن ؟

أشارت بيدها إشارة مبهمة ، وهى تقول :

ـ هناك .. فى الأعماق .

ردد مبهورًا :

ـ فى الأعماق ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. إننا نحيا هناك ، فى الأعماق السحيقة .. هناك تستقر مدينتنا العظيمة ، منذ عشرات القرون ، تحت قبة زجاجية هائلة ، تنمو داخلها حضارتنا وتتطوّر ، دون أن نتدخل فى شئون العالم الخارجى ، أو نسمح له بالتدخل فى شئوننا .

تهدّج صوته ، وتلاحقت أنفاسه ، وهو يسألها :

ـ ومن أنتم بالضبط ؟

أجابته فى هدوء ، وإن حمل صوتها رنة فخر واضحة :

ـ إننا أهل القارة المفقودة .

تراجع هاتفًا فى انبهار :

ـ (أتلانتس) ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. نحن أهل (أتلانتس) ، التى تبذلون أقصى جهدكم للعثور عليها .

اتسعت عيناه فى انبهار كامل ، وهو يقول :

ـ إذن فقد كان (أفلاطون) على حق .. (أتلانتس) حقيقة .

أجابته :

ـ لم يذكر (أفلاطون) الحقيقة كلها ، لأنه لم يكن يعلم سوى النذر اليسير منها ، مما نقله عن قدماء المصريين .. لقد كنا قارة عظيمة بالفعل .. بين (إفريقيا) والأمريكتين ، وكنا نعلم أن قارتنا تتعرّض لعوامل جيولوجية رهيبة ، ستؤدى حتمًا إلى كارثة ، تغرق القارة كلها فى أعماق المحيط ،

فدأب علماؤنا على دراسة الأمر ، ووضع بعض الحلول المنطقية له ، ونادى بعضهم بالحل الأسهل ، ألا وهو الهجرة إلى قارات أخرى ، قبل غرق قارتنا العظيمة ، ولكن البعض الآخر رفض الهجرة تمامًا ، ورفض فكرة التخلّى عن حضارتنا ، التى كانت تفوق ـ آنذاك ـ حضارة الأرض كلها ، ومن هنا جاءت فكرة القبة . قبة زجاجية هائلة ، من زجاج خاص ، يقاوم عوامل الضغط بعشرة أضعاف قدرة الفولاذ ، وبدأ العلماء فى وضع وسائل التعايش فى قاع المحيط ، فصنعوا أجهزة توليد الأكسجين من مياه البحر ، ومزارع الأسماك ، والأعشاب البحرية .. بل وصنعوا بديلًا صناعيًا للشمس ، يمنح أطفالنا مايحتاجون إليه من فيتامين (دال) ، الذى تكوّنه أشعة الشمس فى الأجسام ، ويمنح مزارعنا ماتحتاج إليه من ضوء ، للقيام بعمليات التمثيل الضوئى ، التى لا غنى عنها لنمو أى نبات ..

صمتت لحظة ، لتراقب أثر الانفعال الشديد على وجهه ، قبل أن تتابع فى صوت هادئ خافت ، بدا له وكأنه شرح تسجيلى لمشاهد يرسمها خياله :

ـ وحدثت الكارثة ، وغرقت (أتلانتس) فى قاع المحيط ، ولكن القبة الزجاجية القوية كانت تحميها تمامًا ، فغاصت إلى الأعماق فى هدوء ، واستقرّت على عمق لم يبلغه بشرى حتى الآن ، لتحيا قرونًا أخرى فى عزلتها الاختيارية ، بعيدًا عن المجتمع الأرضى ، بكل صراعاته وحروبه .. وطوال هذه القرون ، دأب حكامنا على إرسال بعثات منتظمة إلى السطح ، لدراسة تطور سكّان الأرض ، والتغير فى لغاتهم ولهجاتهم ، والمدى الذى تبلغه علومهم ، بحيث نفيد من أى تطوّر يبلغونه ، دون أن نتدخل فى صراعاتهم ، أو نؤذيهم ، حفاظًا على روح السلام والعدل فى أعماقنا .

صمتت لحظة أخرى ، قبل أن تضيف :

ـ وهذه الذبذبات ، التى التقطها جهازك صباح أمس ، كانت تخصّ إحدى بعثاتنا ، الخاصة بدراسة تطوّر الشعوب العربية .

قال فى خفوت :

ـ كانت نداء استغاثة .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ هذا صحيح ، فلقد تسبّب حادث غير متوقع فى وقوع غواصتنا فى مأزق ، بحيث انحشرت بين الصخور ، ولم تستطع العودة ، بعد أن التقطتنا من تلك المنطقة ، التى اخترناها لبعدها عن العمران ، واخترتها أنت بالمصادفة للصيد ، ولاختبار جهازك الجديد .

سألها فى اهتمام :

ـ ولماذا التقط جهازى وحده هذا النداء ؟ .. لماذا لم تلتقطه أجهزة القاعدة ؟

أجابته بنفس الهدوء :

ـ لأننا لانستخدم أسلوبًا تقليديًا ، وإنما نستخدم ترددات خاصة ، المفروض أن يلتقطها قسم الطوارئ بمدينتنا ، فيرسل غوّاصة إنقاذ خاصة ، لإخراجنا من ورطتنا ، ولكن جهازك كان مصابًا بخلل فى شدة التردد ، جعله يلتقط النداء الخاص ، وجعلك تثير تلك الزوبعة ، التى أحاطتنا بالمدمرات ودوريات الحراسة ، وجعلت رجال الضفادع البشرية يحومون حولنا ، مما اضطرنا إلى إحاطة الغوّاصة بذلك الغلاف الخداعى ، الشبيه بالصخور ، ولكنك كشفت هذا أيضًا ، مما اضطرنا إلى إبدال الصورة ، وإضافة الأعشاب الصناعية إلى الصخور .

سألها فى توتر :

ـ وكيف علمتم أننى كشفت هذا ؟

أجابته

ـ لم نعلم أنك كشفته ، وإنما قدرنا أنك ستفعل حتمًا ، فلدينا بعض العيون

فى كل مكان ، من أبناء شعبنا ، الذين يتعايشون مع معظم المجتمعات الأرضية ، كما لو كانوا جزءًا منها ، ولقد أخبرنا أحدهم أنك شديد الاهتمام بالأمر ، وأنك تفحص الصور أكثر من مرة ، بل وأنك قد حملتها معك إلى منزلك ، وكان من الضرورى أن نتخذ احتياطنا .

سألها وانفعاله يتصاعد :

ـ وكيف جعلتمونى أسير أثناء نومى ؟

أجابت بوجه جامد الملامح ، وصوت بالغ الهدوء :

ـ ذلك العقار ، الذى حقنتك به فى عنقك ، يلغى إرادتك تمامًا ، ويجعلك تطيع كل ما آمرك به ، ولقد دفعتك إلى فتح الباب لـ (حسن) ، وأنت نصف نائم ، حتى يجد هو فى ذلك تفسيرًا ، لكل ماتخبره به بعدها .

تراجع مغمغمًا :

ـ يا للدهاء !

قالت فى لهجة أقرب إلى الخجل والاعتذار :

ـ كنا نحافظ على سرية وجودنا ، ونحمى حضارتنا ومجتمعنا فحسب .

صمت لحظات ، وهو يتطلّع إليها فى شك ، ثم قال فى حزم :

ـ لست أصدّق حرفًا واحدًا مما قلت .

تنهّدت قائلة :

ـ لا يمكننى إجبارك على التصديق .

اندفع يقول فى حدة :

ـ هناك ثغرة ضخمة فى قصتك ، لم تنتبهى إليها .. إنك تدعين أنكم أصحاب حضارة بالغة القدم ، تواصل تقدّمها منذ عشرات القرون ، فكيف تقفون عاجزين أمام انحشار غواصتكم بين الصخور ، فى حين أن أى مهندس غواصات مبتدئ يستطيع إخراجكم من هذا .

أجابته على الفور :

ـ هذه هى المشكلة .

وبدا صوتها أكثر عمقًا ، وهى تضيف :

ـ لقد فقدنا مهندس غواصتنا .

سألها :

ـ كيف ؟

أجابت فى لهجة يغلب عليها الحزن :

ـ مات .. توفى فجأة ، بعد وصولنا إلى هنا .. أزمة قلبية عادية ، لم تكن فى الحسبان .. ومع وفاته أصابنا الارتباك ، وحاولنا أن نرسو بالغوّاصة هنا ، فانحشرنا بين الصخور ، ولا يوجد بيننا من يمكنه إخراجها من هذا المأزق ، ثم أن الزوبعة التى أثرتها أنت بشأننا ، منعتنا من إرسال نداء استغاثة آخر ، خشية أن تلتقطه الدوريات المحيطة بنا ، فينكشف سرنا ، كما أننا لم نعد نمتلك الأكسجين الكافى ، للبقاء تحت سطح الماء ، إلا ليوم واحد ، وبعدها سنضطر لمغادرة الغوّاصة ، والصعود إلى السطح ، والاستسلام إلى قواتكم البحرية ، فينكشف أمرنا ، ويضيع كل شىء .

قال متوترًا :

ـ ولكنك كشفت الأمر لى بالفعل .

أطرقت بوجهها أرضًا ، وقالت :

ـ كان هذا آخر حل فى جعبتنا .

ردّد فى ريبة :

ـ آخر حل !

رفعت وجهها إليه ، وقالت :

ـ نعم أيها المقدّم (ياسر) .. إننا نعرض عليك الانضمام إلينا .

هتف فى دهشة بالغة :

ـ الانضمام إليكم ؟!

أجابته فى حسم :

ـ نعم أيها المهندس .. إننا نعرض عليك أن تحيا فى ذلك العالم ، الذى تحلم به منذ زمن طويل .. فى المدينة الفاضلة ، حيث لا كذب ، ولا خيانة ، ولا قتل ، ولا سرقة .. المدينة التى تحيا بالصدق ، والعدل ، والسلام ، والأمان .. لقد قرأت مذكراتك هنا ، وعلمت أن هذا هو حلم حياتك ، ولقد نقلت هذا إلى قبطان الغوّاصة ، واتخذنا جميعًا هذا القرار .. إننا سنمنحك مالم نمنحه لأرضى آخر ، منذ عشرات القرون .. سنمنحك فرصة تحقيق حلمك ، والانضمام إلينا .

خفق قلبه فى قوة ..

إنه حلم حياته بالفعل ..

حلم أصبح من الممكن أن يتحوّل إلى حقيقة ..

لم يعد يفصله عن هذا سوى كلمة ..

كلمة واحدة ..

ولكن ما الثمن ؟ ..

ما ثمن تحويل هذا الحلم إلى حقيقة ؟ ..

ما الذى يريدونه منه بالضبط ؟ ..

سألها فى توتر بلغ ذروته :

ـ وما المقابل ؟

أجابته :

ـ إننا نحتاج إليك .

غمغم :

ـ كشخص ؟

أجابته فى حسم :

ـ بل كمهندس غوّاصات .. إننا نحتاج إلى خبرتك ، لإخراج غواصتنا من هذا المأزق ، مقابل منحك فرصة العيش معنا فى مدينتنا ، وتحقيق حلم حياتك .

ران الصمت عليهما لحظات ، وهو يفكّر فى هذا العرض ..

إذن فهذا هو الثمن ..

ثمن الحلم ..

وسألها فى اهتمام :

ـ وماذا بعد خروج غوّاصتكم من هذا المأزق ؟ .. ستلتقطكم دوريات البحر حتمًا ، عندما تتحرّك الغواصة ، وسيلقون القبض عليكم ، أو ينسفون غوّاصتكم .

قالت مبتسمة :

ـ اطمئن .. غوّاصتنا تمتلك القدرة على الانطلاق بسرعات مذهلة ، لا يمكنكم تصوّرها هنا .

قال :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فهى تعجز عن الخروج من بعض الصخور !

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ هذا أمر مختلف ، فالمشكلة هنا هى الخروج من المأزق ، دون الكشف عن وجودنا .

غمغم :

ـ فهمت .

تركته لصمته بعض الوقت ، قبل أن تسأله :

ـ ماقولك ؟

رفع عينيه إليها ، وقال :

ـ ومتى يمكننى البدء ؟

تهلّلت أساريرها ، وهى تقول :

ـ أيعنى هذا موافقة ضمنية ؟

أجاب فى حسم :

ـ قلت متى يمكننى البدء ؟

تنهدّت فى ارتياح ، وهى تقول :

ـ بعد ساعة واحدة .. سأنتظرك فى المنطقة نفسها ، ونذهب معًا إلى الغوّاصة .

قال فى حزم :

ـ اتفقنا .

وكان هذا أخطر القرارات التى اتخذها فى حياته ..

أخطرها على الإطلاق .

* * *

٥ ـ الأعماق ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى مرور ساعة كاملة بالضبط، عندما ظهرت سيّارة (ياسر) ، عند المنطقة المقفرة، وهى تسير مطفأة الأنوار، حتى لا تثير انتباه دوريات السواحل، وتوقفت على مقربة من الشقراء، التى استقبلت (ياسر) فى حرارة، وهى تقول، فى لهجة تحمل نبرة ارتياح واضحة :

ـ كنت أعلم أنك ستأتى.

ابتسم ابتسامة هادئة واثقة، وهو يقول :

ـ لقد وعدت.

أخرج من سيارته حقيبة صغيرة، مستطردًا :

ـ أحضرت بعض الثياب، وعددًا من روايات الخيال العلمى الجديدة.

تمتمت :

ـ سنحضر لك أى عدد تشاء منها.

سألها وهو يدير عينيه حوله :

ـ لماذا لا ترتدين حلة الغوص ؟.. لقد أحضرت أدواتى الخاصة معى، ولكننى أشعر بالقلق، وأتساءل عن الوسيلة، التى سيمكننا بها بلوغ الغوّاصة فى الظلام، فأى ضوء تحت الماء سيثير انتباه دوريات الشواطئ، و..

قاطعته فى هدوء :

ـ لاداع لكل هذا.

قادته فى بساطة إلى الشاطئ الصخرى، وأشارت إلى جسم صغير، يستقرّ بين الصخور، قائلة :

ـ لقد أحضرت غوّاصة شخصية صغيرة، تتسع لكلينا.

ألقى نظرة اهتمام على الغوّاصة الصغيرة، قبل أن تدعوه إلى ركوبها، فاستقرّ على أحد مقعديها، ووضع حقيبته خلفه، فى حين استقرّت هى على المقعد الآخر، خلف عجلة قيادة صغيرة، وأغلقت القبة الزجاجية فوق رأسيهما، ثم أدارت محرّك الغوّاصة الصغيرة، واتجهت بها إلى البحر، لتغوص فى صمت وهدوء..

ومع ذلك الظلام، الذى أحاط بهما فى الأعماق، قال :

ـ أحذّرك مرة أخرى من أية أضواء.

ابتسمت قائلة فى هدوء..

ـ اطمئن.

قالتها وضغطت على زر صغير، فسرى ضوء أحمر باهت فى القبة الزجاجية، قبل أن تتضح صورة الأعماق تمامًا، أمام عينى (ياسر)، الذى قال :

ـ إنها أشعة تحت الحمراء، للرؤية فى الظلام.. أليس كذلك ؟

ابتسمت قائلة :

ـ إنها هى..

ران عليهما الصّمت لحظات، والغوّاصة الصغيرة تسبح فى الأعماق، التى بدت أمام عينى (ياسر) حمراء باهتة، حتى ظهرت الصخرة الضخمة، من بعيد، فغمغم (ياسر) :

ـ لقد وصلنا.

ابتسمت الشقراء، دون أن تضيف شيئًا، واقتربت الغوّاصة أكثر وأكثر

من الصخرة الصناعية الكبيرة ، حتى أصبحت على قيد أمتار منها ، فضغطت الفتاة زرًا آخر ، انزاحت إثره الصخرة ، لتكشف عن غوّاصة أشبه بسيجار ضخم ، لها قبة زجاجية سميكة ، اتجهت إليها الفتاة بالغوّاصة الصغيرة ، وهى تقول :

ـ يبدو أننى أميل إليك .

التفت إليها (ياسر) فى دهشة ، وقد باغته قولها ، الذى لا يتناسب أبدًا مع الموقف ، ووجد نفسه يقول فى لهفة :

ـ تميلين إلىّ ؟! .. أنت ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول فى بساطة :

ـ نعم .. إنك من الطراز الذى أفضّله تمامًا ، فأنت ذكى ، مثقّف ، صادق ، وبسيط .. أنت حلم حياتى بالفعل .

هتف مبهورًا :

ـ يا إلهى ! .. كيف قلت هذا ؟

أجابته فى بساطة :

ـ إننى أشعر به ، فلماذا لا أقوله ؟

أجاب وهو يلاحظ تلك القاعة ، التى تسبح إليها الغوّاصة الصغيرة :

ـ إنه قول منطقى ، ولكنه ليس واقعيًا ، فلقد اعتدنا أن تكتم النساء مشاعرهن .

ابتسمت قائلة :

ـ هذا يحدث فى مجتمعك فحسب ، أما عندنا فكل شىء يتمّ فى بساطة تامة .. حتى التصريح بالمشاعر .

وألقت نظرة سريعة عليه ، وهى تستقر بالغوّاصة وسط القاعة المغمورة بالمياه ، مستطردة :

ـ ولو أنك تمتلك المشاعر نفسها نحوى ، فسنكون زوجين سعيدين فى (أتلانتس) .

تطلّع إليها مبهورًا بصراحتها المطلقة ..

وبفتنتها الطاغية ..

كانت أوّل مرة ينتبه فيها إلى كل هذا السحر ، الكامن فى ملامحها ..

إنها ـ بالفعل ـ أجمل فتاة رآها فى حياته كلها ..

أجمل حتى من نجمات السينما ، اللاتى نلن شهرة واسعة لجمالهن ..

وخفق قلبه فى انفعال ..

أمن الممكن أن تقع فاتنة مثلها من حبه بالفعل ؟ ..

ألقى على نفسه السؤال ، دون أن يبحث ـ جديًا ـ عن الجواب ، فقد لفت انتباهه أمر آخر ؛ إذ انخفض منسوب المياه فى سرعة ، داخل القاعة ، حتى أصبحت الغوّاصة الصغيرة مستقرة داخل قاعة خالية ، ثم انفتح باب فى نهاية القاعة ، تقدّم منه شخص هادئ وقور رصين ، يرتدى ثوبًا أصفر اللون ، من قطعة واحدة ، ويحمل على كتفيه خطوطًا ذهبية اللون ، تشير حتمًا إلى رتبته ، إذ وقفت الفتاة أمامه فى احترام بالغ ، بعد مغادرتها الغوّاصة مع (ياسر) ، وقالت :

ـ تمت المهمة أيها القائد .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، والتفت إلى (ياسر) ، ونطق عبارة ما ، بلغة لم يفهم منها هذا الأخير حرفًا واحدًا ، فأسرعت الفتاة تترجمها قائلة :

ـ إنه يرحّب بك ، على متن غواصتنا .

سألها (ياسر) فى دهشة :

ـ ألا تتحدثون العربية جميعًا ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ أنا وثلاثة من الرفاق فحسب نتحدّث العربية ، وباللهجة المصرية ، فنحن طاقم المتابعة الأرضى ، أما الباقون فهم لقيادة الغوّاصة فحسب ، وعملهم لا يحتاج إلى معرفة لغات أخرى .

انتهت من حديثها ثم راحت تعيده إلى القائد بلغتهم ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، ثم تحدّث معا بعض الوقت ، فالتفتت إلى (ياسر) ، قائلة :

ـ القائد يسأل عما إذا كنت مستعدًا للمعاونة .

أجابها (ياسر) :

ـ أخبريه أننى مستعد لبدء العمل على الفور .

ترجمت الفتاة العبارة إلى القائد ، فتحرّك جانبًا ، ودعا (ياسر) للسير معه ، ليغادر الجميع القاعة ، ويسيرون فى ممر واسع طويل ، مال (ياسر) خلاله على أذن الفتاة ، وسألها :

ـ ما اسمك ؟ .. أتتصوّرين أننى لم أعرفه ، حتى هذه اللحظة :

ـ ابتسمت قائلة :

ـ (روزيانا) .. إنه اسم غريب بالنسبة للعرب ، ولكنه يعنى فى لغتنا (زهرة البحار) .

ابتسم قائلًا :

ـ إنه يناسبك تمامًا .

بدا من الواضح أن عبارته قد أبهجتها ، وإن لم يثر هذا اهتمامه كثيرًا ، إذ بلغ معها ومع القائد حجرة الآلات ، التى تشبه إلى حد كبير حجرة التحكّم ، فى الغوّاصات المصرية ، وقالت (روزيانا) :

ـ هل يمكنك التعامل مع أجهزتنا ؟

ألقى (ياسر) نظرة طويلة على الأجهزة ، ثم قال فى ثقة :

ـ بالطبع .

اتجه إلى أجهزة الاتزان ، وأضاء شاشة أشبه بشاشات الكمبيوتر ، ارتسمت عليها صورة الغوّاصة ، فى موضعها الحالى ، وراح يدرس موقفها ، ويجرى حساباته بشأنها ، ثم تراجع يلقى نظرة طويلة على شاشة الجهاز ، قبل أن يقول :

ـ أريد معاونة .

أجابته (روزيانا) :

ـ كلنا رهن إشارتك .

قال فى هدوء :

ـ أريد معرفة أسماء هذه الأجهزة ووظائفها ، كما أريد من يترجم أوامرى إلى طاقم القيادة .

نقلت رغبته إلى القائد ، فأشار إليها بمعاونته على الفور ، وهنا راحت تترجم له كل مايراه على الأجهزة ، من عبارات بلغة بلادها ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، قبل أن يسألها :

ـ أين الجهاز الذى استخدمتموه ، لنقل نداء الاستغاثة إذن ؟

أشارت إلى جهاز صغير ، قائلة :

ـ ها هوذا .

تطلّع إليه فى اهتمام ، ثم ابتسم قائلًا :

ـ لست أظنكم تحتاجون إليه بعد الآن .

ثم انهمك فى التعامل مع الأجهزة الأخرى ، ونقل أوامره إلى طاقم القيادة ..

وكان بارعًا فى عمله بالفعل ..

لقد استغرق مايقرب من الساعة ، فى إلقاء أوامره للطاقم ، بتفريغ أحد خزانات المياة ، وملء خزان آخر ، وتشغيل أحد المحركات ، ثم إيقافه ،

وتشغيل محرك آخر ، وهكذا ..

وفى كل مرة كان يعيد ضبط اتزان الغوّاصة ، فى مهارة منقطعة النظير ..

وتابع قبطان الغوّاصة عمله فى اهتمام وإعجاب ، وأدرك أنه أمام مهندس غواصات لا يشق له غبار ، وأن دولته ستربح الكثير من عمله هذا ..

وأخيرًا بدأت الغوّاصة تتحرّك فى بطء ..

وفى نعومة مدهشة ، أخذت تخرج من سجنها بين الصخور ..

ولم تمض ربع ساعة أخرى ، حتى كان الجميع يهتفون تحية لـ (ياسر) ..

لقد نجح ..

نجح وأخرج الغوّاصة من مأزقها ..

وفى حرارة ، هتف القبطان بعبارة ، ترجمتها (روزيانا) ، هاتفة فى سعادة جمة :

ـ أنت رائع .. هذا رأى الجميع .. إننا ندين لك بنجاتنا من هذا المأزق .

ابتسم (ياسر) ، وهو يقول :

ـ ولكننى لم أنته من عملى بعد .

سألته فى لهفة :

ـ ماذا تبقى ؟

مدّ يده يضغط زر جهاز الإشارة ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا .

تراجع الجميع فى دهشة ، وهتفت (روزيانا) فى ذعر :

ـ ماذا فعلت ؟

أجابها فى هدوء :

ـ لاشىء يا عزيزتى (روزيانا) .. فقط أطلقت نداء الاستغاثة مرة أخرى .

صاح القبطان بعبارة ما ، وهتفت (روزيانا) :

ـ ولكن لماذا ؟ .. لماذا فعلت هذا ؟

اندفعت محاولة إيقاف الإشارة ، ولكن (ياسر) دفعها بعيدًا عن الجهاز ، وهو يهتف فى صرامة شديدة :

ـ حذار أن يوقفه أحدكم .

أشار القبطان إلى رجاله ، وهو يلقى إليهم أمرًا ما بلغته الغريبة ، وحاول بعضهم القفز نحو الجهاز ، وإيقاف إشاراته ، ولكن الجميع فوجئوا بـ (ياسر) يتراجع فى حركة حادة ، ثم يخرج من جيبه مسدسًا ، من طراز سريع الطلقات ، ويصوبه إليهم ، وهو يهتف فى لهجة آمرة حازمة ، لا تقبل النقاش :

ـ لقد حذرتكم .

تراجع الجميع فى دهشة أقرب إلى الذهول ، وهم يحدقون فى مسدسه ، فى حين هتفت (روزيانا) فى ارتياع :

ـ ماذا تفعل يا (ياسر) ؟

أجاب فى حزم :

ـ إننى ألقى القبض عليكم جميعًا يا عزيزتى (روزيانا) ، ويمكنك ترجمة هذه العبارة إلى قبطانك ، بأية لغة تشاءين .

سألته فى هلع :

ـ ولكن لماذا ؟ .. لماذا تلقى القبض علينا ؟

فرد قامته فى ثقة واعتداد ، وجذب إبرة مسدسه ، تحفزًا لأى هجوم مفاجئ ، وهو يقول فى حزم وصرامة :

ـ لأن خدعتكم لم تنطل علىَّ يا عزيزتى (روزيانا) ، أو أيًا كان اسمك .. لقد أدركت أن قصتك كلها زائفة كاذبة ، وأنكم لا تنتمون إلى (أتلانتس) ، ولم تنتموا إليها أبدًا ..

وكانت المفاجأة الرابعة ..

ولكنها لم تكن من نصيبه هو هذه المرة ..

بل كانت من نصيب أهل (أتلانتس) ..

لو أنهم كذلك بالفعل .

* * *

٦ ـ المفاجأة الأخيرة ..

ران الصمت لحظات داخل الغوّاصة ، والجميع يحدقون فى وجه (ياسر) ، وعلى رأسهم (روزيانا) ، التى بدت أقرب إلى البكاء ، وهى تقول :

ـ لماذا يا (ياسر) ؟ .. لماذا ؟

ابتسم فى زهو ، وهو يقول :

ـ لأن الحلم كان أجمل من أن يتحقق .. صحيح أننى أحلم دائمًا بالعيش فى عالم مثالى ، ولكننى لست بالغباء الذى تصوّرتموه ؛ لأصدّق وجود مثل هذا العالم فى الواقع ، كما حاولتم إيهامى .

ثم لوّح بالمسدس فى وجه (روزيانا) ، مستطردًا :

ـ هيا .. ترجمى كل حرف أنطق به إلى الجميع ، فلست أريدهم أن يفقدوا حرفًا واحدًا منه .

بدت كلماتها مغموسة بالدموع ، وهى تترجم حديثه إلى القبطان ورجاله ، الذين عقدوا حواجبهم فى توتر ، وهم يتطلّعون إلى (ياسر) ، الذى تابع فى فخر :

ـ كانت مشاعرى ترغب حقًا فى تصديق الأمر ، ولكن عقلى بحث أمورًا أخرى ، كان من الممكن أن تغيب عن قلبى .. لقد تنكرّت ذلك العبث ، فى ترتيب روايات الخيال العلمى ، التى أحتفظ بها ، ففهمت كل شىء .. فهمت أنكم لستم من أبناء (أتلانتس) ، تلك القارة الأسطورية المفقودة ، وأن قصتكم لا تحوى سوى نقطة واحدة حقيقية ، وهى الخاصة بمقتل مهندس غواصتكم الأوّل ، وأنتم تتجسّسون على سواحلنا .

صمت لحظات ، ليمنع (روزيانا) فرصة ترجمة ذلك الجزء من

حديثه ، ثم واصل قائلًا :

ـ من الواضح أنكم تنتمون إلى دولة أخرى ، وأظنها الاتحاد السوفيتى ، فأنا أجهل اللغة التى تتحدثون بها ، وأنكم كنتم تتجسّسون على سواحلنا ، عندما وقعتم فى هذا المأزق ، وأردتم إرسال نداء استغاثة إلى سفينة من سفنكم ، أو إلى غوّاصة أخرى ، عندما التقطت أنا الإشارة مصادفة ، فوضعتكم فى مأزق أكبر ..ولكن كان لكم جواسيسكم ، الذين نقلوا إليكم اهتمامى الشديد بالأمر ، وربما أحلامى الخاصة بالعيش فى عالم مثالى ، فوضعتم هذه الخطة المعقدة ، وخاصة عندما عرفتم من تفتيش شقتى أننى أهوى روايات الخيال العلمى ، فتصوّرتم أن وضع خطتكم فى قالب شبيه بروايات الخيال العلمى ، سيجعلنى أقتنع بها تمامًا ، وأستخدم خبراتى لإنقاذكم من ورطتكم ، فتنجحون فى الفرار ، بعد نجاحكم فى التجسّس على دولتى .

غمغمت (روزيانا) :

ـ ألم يقنعك كل مارأيت ؟.. عقار فقدان الإرادة ، والصخرة الزائفة ، و ..

قاطعها ساخرًا :

ـ كلها وسائل علمية متطوّرة ، تمامًا مثل الصورة الهولوجرافية للوحش ، ولكنها ليست معجزات ، فكلها أشياء يمكن لدولة كبرى إنتاجها فى سهولة .

ألقى عليه القبطان سؤالًا رصينًا ، ترجمته (روزيانا) ، قائلة :

ـ من سيتلقى الإشارة ؟

ابتسم (ياسر) ، قائلًا :

ـ نصف القوات البحرية على الأقل ، من سوء حظكم ، فلقد اتصلت بالقيادة ، بعد انصراف عزيزتى (روزيانا) ، وأخبرتهم بما حدث ، ومن حسن الحظ أنهم صدقونى هذه المرة ، فطلبت منهم مراقبة المنطقة ، التى استقبلتنى فيها (روزيانا) ، بأجهزة الرؤية الليلية أيضًا ، فنحن نمتلك بعضها ، ولاريب أنهم شاهدونى أستقل تلك الغوّاصة الصغيرة معها ،

فانتظروا إشارتى ؛ لبدء الهجوم الشامل .

ترجمت (روزيانا) الجواب للقبطان ، وهى تكاد تبكى ، فهزّ القبطان رأسه فى روية ، ثم رفع عينيه إلى (ياسر) فى صرامة ، وأشار إلى (روزيانا) لتترجم حديثه كلمة بكلمة ، وهو يقول :

ـ من المؤسف أن تفكر بهذا الأسلوب أيها المقدّم ، فربما كان يناسب عالمك ، ولكنه لا يناسب أبدًا عالمنا .

هتف (ياسر) ، عند هذه النقطة .

ـ أما زلتم تصرُّون على مواصلة الخداع ؟

ولكن القبطان تابع ، متجاهلًا مقاطعته تمامًا :

ـ إننا لن نخسر سوى سرية وجودنا هنا ، على عكس ماتتصوّر ، فقواتكم البحرية كلها لن يمكنها إيقافنا ، عندما نبدأ رحلة العودة ، ولكننا كنا نتمنى أن نضمك إلى عالمنا ، فيتحقق حلم حياتك ، ونفيد نحن بخبراتك .

قال (ياسر) فى عصبية :

ـ لن يمكنك خداعى مرة أخرى .

ترجمت (روزيانا) العبارة للقبطان ، فهزّ رأسه فى أسف ، فى حين التفتت هى إلى (ياسر) ، وقالت والدموع تغرق عينيها :

ـ لماذا يا (ياسر) ؟ .. لماذا ؟ .. لقد أحببتك ، على الرغم من الدقائق القليلة ، التى قضيناها معًا ، وتصوّرت أن زواجنا سيكون ناجحًا ، وفريدًا من نوعه ، فلماذا خنتنى ؟

بدا الاضطراب على هيئة (ياسر) وصوته ، وهو يقول :

ـ لا .. لا تحاولى إقناعى بهذا .. لن يمكنك خداعى مرة أخرى .

بكت فى حرارة ، وهى تقول :

ـ يا للخسارة ! .. يا للخسارة !

وهنا لمح (ياسر) تلك الفقاعة ، التى تسبح فى الهواء ، متجهة إليه ،

فالتفت إليها فى حركة سريعة ، ولكنها انقضّت عليه بغتة ، وهو يهتف :

ـ ما هذا الشىء العجيب ؟

فوجئ بالفقّاعة تبتلعه ، كما لو كانت فقّاعة صابون ضخمة ، ولكنها لم تكد تحتويه داخل جدرانها الكروية ، حتى أصبحت صلبة كالفولاذ ، شفّافة كالزجاج ، فاطلق رصاصة على جدارها ، صارخًا :

ـ ابعدوا هذا الشىء عنى .

ارتطمت الرصاصة بالجدار ، فاحتواها داخل فقّاعة أصغر ، أوقفت سرعتها تمامًا ، قبل أن تنفصل الفقّاعة الصغرى ، وداخلها الرصاصة ، وتسقط تحت قدمى (ياسر) ، و (روزيانا) تقول فى مرارة ، والدموع تغرق وجهها :

ـ لا تحاول يا (ياسر) . هذه الفقّاعة مصنوعة من مادة عجيبة ، لن يمكنك ابتكارها ، قبل مائتى عام على الأقل .. يا للخسارة يا (ياسر) ! .. يا للخسارة !

ترك مسدسه يسقط من يده ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ لا .. لا تقولى إنكم من (أتلانتس) بالفعل .

قالت فى ألم :

ـ وبم يفيد القول الآن ؟ .. لقد أفسدت كل شىء .. صدقنى يا (ياسر) .. إننى أذوق الألم لأوّل مرة فى حياتى كلها .

أدرك لحظتها فقط هول ما فعل ..

لقد أتى إليه حلم حياته على طبق من فضة ، مرصّعًا بالماس والزمرد ، بين يدى حورية من حوريات الجنة ، فحطمّه بالشكوك والريبة والتردّد ..

الآن فقط أدرك تلك المأساة ، التى وضع نفسه فيها ..

وبكل اللوعة فى أعماقه ، هتف :

ـ لا .. لا يا (روزيانا) .. لقد أخطأت ، ولكننى كنت أتصوّر أننى على حق .. صدقينى .. كنت أحاول حماية وطنى فحسب .

ألقت نظرة على شاشة الراصد ، التى تنقل صور المدمرات والغوّاصات

المصرية ، التى أحاطت بالمكان ، وقالت فى مرارة :

ـ لم تعد هناك فائدة .. لقد خنت يا (ياسر) .. خنت وخدعت وتحايلت ، وكلها صفات لا تصلح لعالمنا .

وعادت دموعها تنهمر ، وهى تقول :

ـ الوداع يا (ياسر) .. الوداع يا أوّل من أحببت فى عمرى كله .

هتف محاولًا التشبث بالجدار الزلق :

ـ لا يا (روزيانا) .. لايمكن أن نفترق هكذا .. لا يمكن ألا أراك مرة ثانية .

تطلّعت إليه بعينيها الدامعتين ، وهى تقول :

ـ من يدرى يا (ياسر) ؟ .. من يدرى ؟ .. ربما سمعت يومًا نداء استغاثة آخر .. من يدرى ؟

لم تكد تتم عبارتها ، حتى أشار القبطان إلى الفقاعة ، فارتفعت عن الأرض قليلًا ، ثم اندفعت فى سرعة عبر الممر الطويل ، إلى قاعة الغوص ، و (ياسر) يصرخ :

ـ لا يا (روزيانا) .. لا ..

ولكن الفقّاعة اندفعت به خارج الغوّاصة ..

وأمام عينيه توهّجت الغوّاصة بوهج وردى خافت ، ثم انطلقت بغتة بسرعة مذهلة ، كما لو كانت سهمًا من نور وردى ، يشق الأعماق ، ويختفى وسط المياه الممتدّة إلى مالا نهاية ، و (ياسر) يصرخ :

ـ لا .. لا تذهبى .. لا ..

ثم أظلم كل شىء أمامه بغتة ..

لم يدر ماذا حدث بالضبط ، ولكنه وجد نفسه يسبح على سطح الماء بكل قوته ، مقاومًا الأمواج والغرق ، دون الفقّاعة ، ومن فوقه صوت يهتف :

ـ تشبّث بطوق النجاة يا (ياسر) .. تشبّث به .

وجد الطوق الأبيض فى متناول يده ، فتشبث به فى قوة ، وترك زملاءه ينتشلونه من الماء ، ويرفعونه إلى سطح زورق طوربيد صغير ، وسمع صوت صديقه (حسن) يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (ياسر) .. ماذا حدث لتلك الغوّاصة المعادية ؟ .. وماخيط الضوء هذا ، الذى عبر الأعماق ؟

غمغم وهو يشعر بمرارة هائلة فى أعماقه :

ـ لست أدرى يا (حسن) .. لست أدرى .

كان قد قرّر فى أعماقه ألا يبوح أبدًا بما حدث ..

إنه سيحتفظ بالسر لنفسه ..

سيحتفظ به إلى الأبد ..

وبعد مرور عام كامل على هذه الأحداث ، لم يكن قد تنازل عن قراره هذا قط ، وكان البعض قد اعتاد رؤيته جالسًا ، فى تلك المنطقة المقفرة ، غرب قاعدة (رأس التين) البحرية ، مدليًا خيط قصبة الصيد فى المياه ، وواضعًا إلى جواره جهازًا يشبه جهاز التسجيل ، وقد تدلّى منه ميكروفون صغير داخل الماء ..

وقلائل هم الذين كانوا يعلمون ، أن المهندس (ياسر) لم يعد يهتمّ كثيرًا بالأسماك ، على الرغم من الأعداد الكبيرة منها ، التى تلتقطها سنارته ..

ومامن مخلوق فى الدنيا كلها ، كان يعلم أن اهتمامه الرئيسى ينصب على ذلك الجهاز الصغير ، والميكروفون الغائص فى الأعماق ، وأن ذهنه لم يعد يحمل سوى صورة (روزيانا) ، وحلم المدينة الفاضلة ، وهو يجلس فى كل إجازاته وأوقات فراغه هناك ، على أمل التقاط نداء واحد ..

نداء الأعماق .

* * *

(تمت بحمد الله)

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

٨١٧١٩

فى هذا الكتاب

صفحة

- الوسيم (قصة قصيرة) ٥
- **لعبة الجواسيس** ١٥
- صديقتها (قصة قصيرة) ٦٨
- فلنبدأ بالخيال .. (دراسة) ٧٤
- **الكذاب** (قصة كاملة) ٧٩
- العودة (قصة قصيرة) ١١٨
- الذين ذهبوا (دراسة) ١٢٧
- مذكرات مخرج إعلانات ١٣٥

قصة العدد

- **نداء الأعماق** ١٤٥
- عزيزى القارئ ٢٠٤

الثمن فى مصر ١٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم